من صفات الخطيب

١ - حُسنُ المَظهَرِ .

٢ - الحِكمَةُ .

٣ - الرِّفقُ .

٤ - التَّبشِيرُ .

٥ - التَّيسِيرُ .

٦ - الصَّبرُ .

٧ - اليَقِينُ .

٨ - قُوَّةُ الشَّخصِيَّةِ .

٩ - الشَّجَاعَةُ .

١٠ - عُلُوُّ الهِمَّةِ .

١١ - التَّوَاضُعُ .

١٢ - الاستِقلالُ .

١٣ - القَنَاعَةُ والعِفَّةُ .

١٤ - لُزُومُ المُرُوءَةِ .

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

١- حُسْنُ المَظْهَرِ

على الخطيب أنْ يلبسَ أَحْسَنَ ما يجد من الثِّياب ، فقد بَوَّبَ البخاريُّ باباً «يَلْبَسُ أَحْسَنَ مَا يَجِدُ» ، وفي حديث عبد الله بْنِ سَلاَمٍ أنَّه سمع النَّبيَّ -ﷺ- يقول على المِنْبَرِ يَوْمَ الجُمُعَةِ : « ما عَلَى أَحَدِكُمْ لَوِ اشْتَرَى ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبِ مِهْنَتِهِ » (١) .

وكان - ﷺ - يلبس العمامةَ ، ويُرْخي الذُّؤَابةَ (٢) كما في حديث عَمْرو ابن حُرَيْث قال : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى رسولِ اللهِ - ﷺ - عَلَى المِنْبَرِ ، وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ ، قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ » (٣) .

وعلى الخطيب أن يُراعيَ عُرْفَ أهلِ بلده ؛ حتَّى لا يتسبَّبَ للإخلال بمعاني المروءة ، هذا إذا كان العُرْفُ مما يقرُّه الشَّرع، وإلاَّ فالشَّرع هو المعتمدُ .

إنَّ العُيُونَ رَمَتْكَ إِذْ فَاجَأْتَهَا ... وَعَلَيْكَ مِنْ شُهَرِ الثِّيَابِ لِبَاسُ
أَمَّا الطَّعَامُ فَكُلْ لِنَفْسِكَ مَا تَشَا ... وَاجْعَلْ لِبَاسَكَ مَا اشْتَهَاهُ النَّاسُ

وليحذر من اللِّباس التي هي من خصائص الكُفَّار ، وفي حديث عبد الله ابن عمرو حينما رأى رسولُ الله - ﷺ - عليه ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ (٤) ، قال: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ ؛ فلا تَلْبَسْهَا » (٥) .

---

(١) رواه أبو داود في الصَّلاة (١٠٧٨) ، وابْنُ ماجَهْ في إقامة الصَّلوات (١٠٩٥) ، وهو صحيحٌ لغيره ، قال في الزَّوائد : « إسناده صحيح ، ورجاله ثقات » . انظر صحيح سنن أبي داود للألباني (٩٨٩) ، وغاية المرام له (٧٦) ، والمشكاة له (١٣٨٩) ، وصحَّحه في صحيح الجامع (٥٦٣٥) .

(٢) **يرخي الذُّؤابة** : يرسلُها ، **والذُّؤَابةُ** : طرف العمامة ، جمعها : ذوائب .

(٣) رواه مسلم في الحجِّ (١٣٥٩) ، وأبو داود في اللِّباس (٤٠٧٧) ، والنَّسائيُّ في الزِّينة (٥٣٤٨) ، وابن ماجه في اللِّباس (٣٥٨٧) .

(٤) أي مصبوغين بالعصفر .

(٥) رواه مسلم في اللِّباس والزِّينة (٢٠٧٧) ، والنَّسائيُّ في الزِّينة (٥٣٨١) .

OBEIKAN.COM

ومن اللِّباس الذي هو من خصائصِ الكُفَّار اليومَ وشعارهم البنطلون ، وما يفعلُهُ البَعْضُ من التَّزيُّن بحَلْق اللِّحية فهو معصيةٌ ، ومخالفةٌ للأَدِلَّة التي أمرت بإطلاقها ، كما أنَّ التَّزيُّنَ بحَلْق اللِّحية منْ خصائص الكُفَّار الذين أَمرَنَا نبيُّنا بمخالفتهم ، فقد صحَّ عن النَّبيِّ – ﷺ – في أحاديثَ كثيرةٍ – الأمرُ بإعفاء اللِّحى، وإحفاء الشَّوارب ، وعلَّل ذلك النَّبيُّ – ﷺ – بأنَّه مخالفةٌ للمشركين والمجوس، فقال – ﷺ –: « **جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوْا اللِّحَى؛ خَالِفُوا المَجُوْسَ**»(١) .

وما أحسنَ ما ذكره القاسميُّ :

«عَلَى المتحدِّث – إذا أراد حُضُورَ مَجْلِسِ التَّحْديث – أنْ يتطهَّرَ بغُسْلٍ أو وضوءٍ ، ويتطيَّبَ ، وَيَسْتَاكَ – كما ذكره ابن السَّمعانيُّ – ، ويُسرِّح لحْيَتَه ، ويجلس في صَدْرِ مجلسه متمكِّنًا في جلوسه بوَقَارٍ وهيبةٍ » (٢) .

عَفْوًا لَكَ اللهُ، قَدْ أَحْبَبْتُ طَلْعَتَكُمْ ... لأَنَّهَا ذَكَّرَتْنِي سِيرَ أَسْلافي
يَفْدِيكَ مَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا رِسَالَتَهُ ... مَنْ كُلُّ أُمْثَالِه تُفْدَى بآلاف !

ومِمَّا يدلُّك على أهميَّة حُسْنِ المَظْهَرِ ما رواه عُمَرُ بْنُ الخطَّاب – رضي الله عنه – قال : « **بَيْنَمَا نَحْنُ جلوسٌ عِنْدَ رسولِ الله – ﷺ – ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بياضِ الثِّيَاب ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، لا يُرى عليه أَثَرُ السَّفَرِ ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إلى النَّبيِّ – ﷺ – ...** » (٣) .

فتعلَّم – أخي – أنَّ الحكمةَ من مجيء جبريلَ – عليه السلام – بهذه الهيئة الحسنةِ منْ شدَّة بياضِ الثِّيابِ ، وشدَّة سوادِ الشَّعرِ ؛ ليَعْظُمَ اتجاهُهم إليه ، وإصغاؤهم لما يقول .

---

(١) رواه مسلم في الطَّهارة من حديث أبي هريرة (٢٦٠) .
(٢) « إصلاح المساجد » (ص٢٣٤) .
(٣) رواه مسلم في الإيمان (٨) ، وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٩٥) ، والتِّرمذي في الإيمان (٢٦١٠) ، والنَّسائيُّ في الإيمان (٤٩٩٣) ، وابن ماجه في السُّنَّة (٦٣) .

وخُلاصةُ القولِ أنَّه يَحْسُنُ بالخطيبِ أنْ يكونَ أحرصَ النَّاسِ على الكمال ، وأبْعدَهُمْ عَنِ النَّقْصِ ؛ لأنَّهُ مَطْمَحُ الأنظارِ ، والنَّظَرُ يفعَلُ في القَلْبِ كما يفعلُ الكلامُ في السَّمْعِ .

ومن اللَّطائفِ أنَّ العَرَبَ في الجاهليَّةِ كان إذا أرادَ أَحَدُهم أنْ يَخْطُبَ اعْتَجَرَ عمامته ـ أي لبسَ العِمامَةَ الكبيرةَ – ؛ حتَّى إذا رآها الحاضرون ، أحسُّوا برهبةٍ وخشوعٍ يُساعدان على الإذعانِ ، والقَبولِ لما يقول .

تَفُوْحُ أَطْيَابُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمِ عِنْدَ القُدُوْمِ لِقُرْبِ العَهْدِ بِالدَّارِ

OBEIKAN.COM

٢- الحِكْمَةُ

لا شكَّ أنَّ صاحبَ الحكمة يتذوَّقُ الناسُ لَذَّةَ التَّأدُّبِ على يَدَيْه ، ويستقبلون كلامَهُ بارتياحٍ ، ورضًا ، وحُسْنِ قَبُولٍ ؛ لأنَّهُ يستخدمُ الأسلوبَ الحكيمَ في التعامل معهم ، ويضعُ الأمورَ في مواضعها الصَّحيحة امتثالاً لأمر الله – سبحانه وتعالى – القائل : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ [١] وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النَّحْل : ١٢٥] .

يقول ابنُ القيِّم – رحمه الله – : « أَطْلَقَ الحكمةَ ، ولم يُقَيِّدْهَا بوصفِ الحَسَنَة ؛ إذْ كُلُّها حَسَنَةٌ ، ووصفُ الحُسْنِ لها ذاتيٌّ » [٢] .

وقال محمَّدٌ الألوسيُّ – نقلاً عن صاحب البحر – عند شرحه للآية : «إنَّها الكلامُ الصَّوابُ الواقعُ في النَّفسِ أَجْمَلَ مَوْقِعٍ » [٣] .

والحكمة نعمةٌ من الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

وكما تكون نعمةً، فهي مكتسبةٌ، ومن أسباب اكتسابها التَّفَقُّهُ في الدِّين،

---

(١) كثيرٌ من التَّفاسير تُفَسِّر الحكمة ـ أحيانًا ـ بأنَّها القرآنُ ، وأحيانًا تفسِّرُها بأنها السُّنَّةُ أو النُّبوَّةُ ، ولذلك وردتْ أحاديثُ في دعوة رسول الله – ﷺ – لحَبْرِ الأُمَّة ابن عبَّاس بأن يُعلِّمَهُ اللهُ التَّأويلَ ، والكتابَ ، والفقْهَ في الدِّين ، وأجملها البخاريُّ بقوله : « **اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ** » صحيح البخاريّ ، كتاب فضائل الصَّحابة (٣٧٥٦) .

والمراد بذلك فَهْمُ القرآن والسُّنَّة ، والعملُ بهما ، كما صرَّح بذلك كثيرٌ من التابعين ، وأكَّده ابنُ تيميَّة بقوله : « وأمَّا الحكمةُ في القرآن فهي معرفة الحقِّ ، وقولُه ، والعملُ به» «الفتاوى» (١٥/ ٤٥) . انظر « هذه أخلاقنا » للخازندار (ص١٢١) .

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٤٥) .

(٣) «روح المعاني» (١٤/ ٢٥٤) .

OBEIKAN.COM

فعن معاوية - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقولُ : « مَنْ يُرِد اللهُ به خيرًا يُفقِّهْهُ في الدِّين »[١] .

وترجم البخاريُّ - رحمه الله - في كتاب العلم « باب الاغتباط في العلم والحكمة »باعتبار أنَّ العلمَ وسيلةٌ ، وأنَّ الحكمةَ نتيجةٌ طبيعيَّةٌ ، ولذلك نقل في التَّرجمة قول عُمرَ : « تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا » لما تحتاجه الإمارةُ من حكْمَةِ العلْمِ ، وتَجْرِبَةِ العُلَمَاءِ ، ولم يُرِد البُخَارِيُّ أَنْ يُفْهِمَ من قول عُمرَ أنَّ السِّيادة والإمرة تمنع من التواضع للعلماء ، فَعَقَّبَ البخاريُّ : « وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا، وَقَدْ تَعَلَّمَ أصحابُ النَّبيِّ - ﷺ - في كِبَرِ سِنِّهِمْ »[٢] .

وَكَثْرَةُ التَّجارِبِ هي التي تُكسبُ صاحبَها الحِلْمَ والحِكْمَةَ ، وهذا ما يُفْهِمُ من قولِ رسولِ اللهِ - ﷺ - : « لا حَلِيمَ إلا ذو عَثْرَةٍ ، ولا حَكِيمَ إلا ذو تَجْرِبَةٍ »[٣] .

قال شاعرٌ في خطيبٍ حكيمٍ :

مُتَحَذْلِقٌ يَقِظٌ ، فَإِنْ أَرْسَلْتَهُ ... أَجْرَى لُعَابَ رَحِيقِهِ مِنْ صَدْرِهِ

بَتَّارُ أَعْنَاقِ الأَنَامِ بِلَفْظِهِ ... سَلَّابُ أَفْئِدَةِ المُلُوكِ بِسِحْرِهِ !

---

(١) رواه البخاريُّ في العلم (٧١) ، وفي فرض الخمس (٣١١٦) ، ومسلمٌ في الزكاة (١٠٣٧) ، وابن ماجه في السُّنَّة (٢٢١) ، وأحمد في مسنده ، ورواه التِّرمذيُّ عن ابن عبَّاس في العلم (٢٦٤٥) .

(٢) «البخاريُّ مع الفتح» (١/١٦٥) .

(٣) رواه التِّرمذيُّ في البِرِّ والصِّلة (٢٠٣٣) ، وقال : حَسَنٌ غريبٌ ، والبخاريُّ في الأدب المفرد، وأحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ، وصحَّحه ابن حِبَّان .

٣ - الرِّفْق

ما تحلَّى الخطيبُ بأجملَ من الرِّفق ، والرِّفْقُ هو اللُّطْفُ ، ومعناه الدَّفْعُ بالتي هي أحسنُ ، ولا يكونُ في شَيْءٍ إلا زانَهُ ، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلا شانَهُ .

قال الله – تبارك وتعالى – :

﴿ فبما رحمة مِّنَ اللَّه لنت لَهُمْ ولَوْ كنت فظًا غليظ الْقَلْب لانفضُّوا من حَوْلك فَاعْفُ عَنْهُمْ واستغفر لَهُمْ وشَاورْهُمْ في الأَمْر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

ووصف اللهُ – سبحانه وتعالى – نبيَّه – ﷺ – وأصحابَهُ ، فقال – سبحانه وتعالى – : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّه والَّذين معَهُ أَشدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بينهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩]

وعن عائشةَ – رضي الله عنها – أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ رَفِيقٌ ، يُحبُّ الرِّفْقَ ، ويُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ ، ومَا لا يُعْطِي عَلَى ما سِوَاه » (١) .

وعنها أنَّ رسولَ الله – ﷺ – قالَ : « إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شَيْءٍ إلاَّ زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ » (٢) .

ولا شكَّ أنَّه مَنْ أُعْطِيَ الرِّفْقَ والخُلُقَ ، فقد أُعْطِيَ الخَيْرَ كُلَّه ، والرَّاحَةَ كُلَّها ، وحَسُنَ حَالُهُ في دُنْيَاهُ وآخرته ، ومَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ والخُلُقَ ، كان ذلك سبيلاً إلى كُلِّ شرٍّ وبليَّةٍ إلا مَنْ عَصَمَه اللهُ (٣) .

---

(١) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة والأدب برقم (٢٥٩٣) .

(٢) رواه مسلم – واللَّفظ له – في البرِّ والصِّلة (٢٥٩٤) ، وأبو داود في الجهاد (٢٤٧٨) ، وفي الأدب (٤٨٠٨) .

(٣) انظر « حلية الأولياء » لأبي نعيم (١٨٦/٣) .

الرِّفْقُ أَيْمَنُ شَيْءٍ أَنْتَ تَتْبَعُهُ وَالخَرْقُ أَشْأَمُ شَيْءٍ يقدُمُ الرَّجُلاَ [١]
وَذُو التَّثَبُّتِ مِنْ حَمْدٍ إِلى ظَفَرٍ مَنْ يركبْ الرِّفْقَ لاَ يَسْتَحْقِبْ [٢] الزَّلَلاَ [٣]

فإذا كان الأمر كذلك ، فحريٌّ بالخطيب الواعظ أنْ يتلطَّفَ بالكلام ، ولا يُكْثِر مِنَ اسْتخدامِ أسلوبِ الأمرِ والنَّهْيِ ، ولكنْ يستخدم أسلوبَ التَّرغيبِ والترهيبِ ؛ فإنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يكْرَهُ أسلوبَ الأمْرِ والنَّهْيِ ، بل إنَّ النُّفُوسَ جُبِلَتْ على ذلك ، ومتى أَظْهَرَ الخَطيبُ الحقَّ في مَعْرِضِ التَّحدِّي والإذلالِ، فقد مكَّن للباطلِ مِنْ قلوبِ النَّاسِ – وإنْ كانَ عَنْ حُسْنِ نيَّةٍ – ، فقد نقلَ الإمامُ الشاطبيُّ عن أبي حامدٍ الغزاليِّ – رحمهما الله – قولَهُ : «أكثرُ الجهالاتِ إنَّما رسختْ في قُلُوبِ العَوَامِّ بتعصُّبِ جهلَةِ أَهْلِ الحقِّ ، أظهروا الحقَّ في مَعْرِضِ التَّحدِّي والإذلالِ ، ونظروا إلى ضُعَفَاءِ الخُصُومِ بعَيْنِ التَّحقيرِ والازدراءِ ، فثارتْ في بَوَاطِنِهِمْ دَوَاعِي المعاندةِ والمخالفةِ ، ورسَخَتْ في قُلُوبِهِم الاعتقاداتُ الباطلةُ ، وتعذَّرَ على العُلَماءِ المتلطِّفينَ مَحْوُهَا مع ظهورِ فسادِها »[٤] .

لَمْ أَرَ مِثْلَ الرِّفْقِ في لِيْنِهِ أَخْرَجَ لِلْعَذْرَاءِ مِنْ خِدْرِهَا
مَنْ يَسْتَعِنْ بالرِّفْقِ في أَمْرِهِ يَسْتَخْرِجِ الحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا [٥]

ومن الرِّفْقِ والتَّلَطُّفِ أنْ يُقْبِلَ الخطيبُ على الناس بوجهٍ باشٍّ طلقٍ يذوب رقَّةً وخُلُقًا ، ومَنْ كانتْ هذه صفاتُهُ ، كان أقدرَ على التفكيرِ ، واختيارِ الكلمةِ المناسبةِ لمُقْتَضَى الحالِ ، وهذا هو الخطيبُ النَّاجحُ .

---

(١) **يَقْدُمُ الرَّجُلَ** : يَقُودُهُ وَيَتَقَدَّمُهُ .
(٢) **اسْتَحْقَبَ الشَّيْءَ** : جعله في حقيبته، كأنَّهُ يرجعُ به إلى أصْلِه.
(٣) « روضة العقلاء » لابْنِ حِبَّانَ (ص٢١٦) .
(٤) « الاعتصام » (٢/٢٣) .
(٥) «حياة الحيوان» (١/٢٧٥) .

والعُبُوسُ ومَا يستصحبُهُ من كآبةٍ واضطرابٍ نفسيٌّ دليلٌ على صِغَرِ النَّفس، أمَّا النُّفوسُ الكبيرةُ فيكتنفها جوُّ السَّكينةِ والطُّمأنينة .[١]

وقال ابنُ عقيلٍ الحنبليُّ – رحمه الله – : « البِشْرُ مُؤْنِسٌ للعُقُولِ ، ومِنْ دَوَاعي القَبُولِ ، والعُبُوسُ ضِدُّهُ »[٢] .

وقال أبو حاتم – رحمه الله – : « البَشَاشَةُ إدامُ العُلَمَاء، وسَجِيَّةُ الحُكَمَاء؛ لأنَّ البِشْرَ يُطْفِئُ نَارَ المُعَانَدَة ، ويحْرقُ هَيَجَانَ المُباغَضَة ، وفيه تَحْصينٌ من الباغي، ومَنْجاةٌ من السَّاعي[٣]، ومَنْ بَشَّ للنَّاسِ وَجْهاً، لَمْ يكنْ عندهم بدُونِ الباذِلِ لهم ما يملكُ»[٤] .

(١) « أقوال مأثورة » للصبَّاغ (ص١٨١) .
(٢) « الفنون » لابن عقيلٍ (٦٣٥/٢) .
(٣) **السَّاعي** : الَّذي يَسْعَى بالوقيعة ؛ ليُفرِّقَ بين الأحبَّة .
(٤) « روضة العقلاء » (ص٧٥) .

OBEIKAN.COM

٤- التَّبْشِيرُ

التَّبشيرُ : هو بَثُّ الأمَلِ في القلوبِ ، والبُعْدُ عن أساليبِ التَّنْفيرِ ، حتَّى في التَّخويفِ من اللهِ ، والتَّرهيبِ من النَّارِ ، وقد بُعِثَ رسولُ اللهِ – ﷺ – بشيراً لأتباعه ، نذيراً لأعدائه ، بل تلك هي مُهِمَّةُ الرُّسُلِ أجمعين، قال – تعالى – : ﴿ وما نُرسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلاَّ مُبشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٨] .

وبشَّر اللهُ المبايعين على الجهاد، إنْ وَفَوْا بالبيعة، فقال – سبحانه وتعالى –: ﴿ فاستَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذي بايَعْتُم به ﴾ [التَّوبة : ١١١] .

وَبَشَّر الرَّسولُ – ﷺ – الموحِّدين بالجنَّة، فقال : « أَبْشِروا ، وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكم أنَّه مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ صادقاً مِنْ قَلْبِه ، دَخَلَ الجَنَّةَ » (١) .

وقال جبريلُ – عليه السلام – لرسول الله – ﷺ – : « بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا ، دَخَلَ الجَنَّةَ » (٢) .

وحالُه – ﷺ – في خُطْبَتِه التَّبشيرُ ، كما في قوله – ﷺ – : « إنَّ هَذا الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ هَذا الدِّينَ أَحَدٌ إلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا ، وقَارِبُوا ، وأَبْشِرُوا » (٣) (٤) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، والطَّبَرَانيُّ في الكبير عن أبي موسى الأشعريّ ، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٥) ، والصَّحيحة (٧١٢) .

(٢) رواه البخاريُّ في الرِّقاق (٦٤٤٣) ، ومسلم في الإيمان (٢٦٤٤) عن أبي ذرٍّ .

(٣) رواه البخاريُّ في الإيمان (٣٩) ، والنَّسائيُّ في الإيمان (٥٠٣٧) عن أبي هريرة .

(٤) قال ابن حجرٍ – رحمه الله – في « فتح الباري » (٩٥/١) ما نصُّه : « وأبشروا : أي بالثواب على العملِ الدائمِ – وإن قلَّ – ، والمرادُ تبشيرُ مَنْ عجز عن العملِ بالأكملِ ، بأنَّ العجزَ إذا لم يكن من صنيعِه ، لا يستلزم نقصَ أجْرِه ، وأبْهَمَ المُبَشَّرَ به تعظيماً له وتفخيماً » .

OBEIKAN.COM

وعن أنسٍ – رضي الله عنه – عن رسولِ الله – ﷺ – قال : « يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا » (١) (٢) .

بُشْرَى منَ الغَيْبِ أَلْقَتْ في فَمِ الغَارِ وَحْيًا ، وأَفْضَتْ إِلَى الدُّنْيَا بأَسْرَارِ
بُشْرَى النُّبُوَّةِ طَافَتْ كالشَّذَا(٣) سَحَرًا(٤) وأَعْلَنَتْ في الرُّبَا(٥) مِيلَادَ أَنْوَارِ
وَشَقَّتِ الصَّمْتَ، والأَنْسَامُ(٦) تَحْمِلُهَا تَحْتَ السَّكِينَةِ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارِ

فعلى الخطيبِ أنْ يكونَ مَصْدَرًا للفأْلِ الحَسَنِ ، والأَمَلِ الواسعِ ، والعَاقبةِ الحميدة ، والمستقبلِ لهذا الدين ، فقد كان رسولُ الله – ﷺ – يستعملُ أساليبَ التَّبشير، فعن بُرَيْدَةَ الأسلميِّ – رضي الله عنه – عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: « بَشِّرِ المشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المساجدِ بالنُّورِ التَّامِّ يومَ القيامة » (٧) .

وصلَّى العشاءَ مرَّةً بأصحابه، فأعتم بها حتَّى ابهارَّ اللَّيلُ ، وقَبْلَ أنْ ينْصرفوا قال لهم : « عَلَى رِسْلِكُمْ ، أَبْشِروا . إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عليْكُمْ أنَّه ليس أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي هذه السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ » .

---

(١) رواه البخاريُّ في العلم (٦٩) ، وفي الأدب (٦١٢٥) ، ومسلمٌ في الجهاد (١٧٣٤) .

(٢) قال ابن حجرٍ في « الفتح »(١٦٣/١) على هذا الحديث : « المرادُ تأليفُ مَنْ قَرُبَ إسلامُهُ، وتَرْكُ التَّشديد عليه في الابتداء ، وكذلك الزَّجْر عن المعاصي ينبغي أن يكونَ بتلطُّف ؛ ليقبلَ ، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتَّدرُّج ؛ لأنَّ الشَّيْءَ إذا كانَ في ابتدائه سَهْلاً ، حُبِّبَ إلى مَنْ يدخلُ فيه ، وتلقَّاه بانبساطٍ ، وكانتْ عاقبتُه – غالبًا – الازديادَ » .

(٣) **الشَّذا** : الرَّائحة الطَّيِّبة .

(٤) **السَّحَرُ** : الثُّلُثُ الأخيرُ من اللَّيلِ .

(٥) **الرُّبا** : الأماكن العالية ، والمفرد ربوة.

(٦) **الأنسام** : الرِّياح اللَّيِّنة الطَّيِّبةُ ، مفردها نسيم .

(٧) رواه أبو داود في الصلاة (٥٦١) ، والتِّرمذيُّ في الصلاة (٢٢٣) ، وللحديث شاهدٌ من حديث سَهْلٍ السَّاعديِّ ، وحديث أنسٍ عند ابن ماجَهْ في المساجد (٧٨٠، ٧٨١) ، وعند الحاكم في مستدركه (٢١٢/١ ، ٢١٢/٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٣) .

OBEIKAN.COM

قال أبو موسى الأشْعَريُّ : « فَرَجَعْنا فَفرِحْنا بما سَمِعْنَا من رسول الله ﷺ » (١) .

وقد وعد الله الذين آمنوا ، وكانوا يتقون بأنَّ : ﴿ لهم البُشْرى في الحياة الدُّنْيا وفي الآخرة ﴾ [يونس : ٦٤] .

ومن البُشْرَى العاجلة حديثُ أبي ذرٍّ قال : قيل لرسول الله - ﷺ - : « أرأيتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ من الخَيرِ ، ويَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْه ؟ » . قال: « تلك عاجلُ بُشْرَى المؤمن » (٢) .

وفي توبة كَعْبِ بْنِ مالكٍ حيثُ ذهب إليه عَدَدٌ من المبشِّرين ، فناداه أَحَدُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إليه : « يا كعبُ بْنَ مالكٍ ، أَبْشِرْ » . يقول كَعْبٌ: « فخررتُ ساجداً ، وعرفت أنه قد جاء الفَرَجُ » . وتلقَّاه الناسُ فَوْجًا فَوْجًا ، يُهنِّئونه بالتَّوبة ، ويقولون له : « لِتَهْنِكَ توبةُ الله عليك » .

ولَمَّا سلَّم على رسول الله - ﷺ - قال وهو يَبْرُقُ وَجْهُهُ من السُّرور : « أَبْشِرْ بخيرِ يومٍ مرَّ عليك مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » (٣) .

ومن اللَّطائف :

ما ورد في هذه القصَّة روايةً نقلها صاحبُ الفتح : يقول كَعْبٌ : « فأنزلَ اللهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّه حينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الأخيرُ منَ اللَّيل ، ورسولُ الله - ﷺ - عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ - وكانت أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً في شَأْني ، مُعْتَنِيَةً بأمري - فقال : « يا أُمَّ سَلَمَةَ ، تِيْبَ عَلَى كَعْبٍ » . قالت : « أَفَلا أُرْسِلُ إليه؛ فَأُبَشِّرَهُ ؟ » .

---

(١) رواه البخاريُّ - واللَّفظ له - في المواقيت (٥٦٧) ، ومسلمٌ في المساجد (٦٤١) .

(٢) رواه مسلم في البرِّ والصِّلة (٢٦٤٢) .

(٣) رواه البخاريُّ في المغازي (٤٤١٨)، ومسلمٌ في التَّوبة (٢٧٦٩) ، وأبو داود في الجهاد (٢٧٧٣) .

قال : « إذًا يَحْطمكُمُ [١] النَّاسُ ، فيمنعونكم النَّومَ سَائرَ اللَّيلة » [٢] .

جَزَاهُمُ اللهُ عَنْ دِيْنِ الرَّسُوْلِ ، فَمَا ... أَحْلَى مَآثِرَهُمْ في سالف الحقَبِ !
لَولا لَطَائِفُ صُنْعِ اللهِ مَا نَبَتَتْ ... تِلْكَ المَكَارِمُ في لحْمٍ ولا عَصَبِ

(١) **يحطمكم** : يجتمع عليكم.
(٢) « فتح الباري » (١٢١/٨ - ١٢٢) .

OBEIKAN.COM

٥ - التَّيْسِيرُ

عليك – أخي الخطيب – بالتَّخلُّق بخُلُق التَّيسير ؛ فقد تكفَّلَ اللهُ بالوقاية من النَّار ، وبغُفْران الذُّنوب لمنْ تخلَّقَ بهذا الخُلُق العظيم ، فعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسولُ الله – ﷺ – : « حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ ، لَيِّنٍ ، سَهْلٍ ، قَرِيْبٍ مِنَ النَّاسِ » (١) .

ومن طبيعة هذا الدِّين ، ومن قواعده الشَّرعيَّة رَفْعُ الحَرَج ، فما كان أَيْسَرَ ، كان أرضى لله لقول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

قال العلاَّمةُ ابنُ سَعْديٍّ – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : « أَيْ يريد الله – تعالى – أنْ يُيَسِّرَ عليكُم الطُّرقَ الموصِّلةَ إلى رِضْوانه أَعْظَمَ تيسيرٍ ، ويُسَهِّلَهَا أَعْظَمَ تسهيلٍ ؛ ولهذا كان ما أمر اللهُ به عبادَه في غاية السُّهولة في أصله » (٢) .

ونقلَ القاسميُّ – رحمه الله – عن الشعبيِّ قولَهُ : « إذا اختلف عليك أمران ، فإنَّ أيسرهما أَقْرَبُهما إلى الحقِّ لقول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ » (٣) .

وقال رسولُ الله – ﷺ – : « إنَّ الدِّين يُسْرٌ » (٤) .

---

(١) رواه التِّرمذيُّ في صفة القيامة (٢٤٨٨) ، وقال : حَسَنٌ غريبٌ ، وأحمد في مسنده (٤١٥/١) ، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الطَّبرانيِّ في الأوسط ، وعند العقيليِّ في الضعفاء ، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٠٣٥) ، والصحيحة (٩٣٨) .

(٢) « تيسير الكريم الرحمن » لابن سَعْديٍّ (ص٨٦ – ٨٧) .

(٣) « محاسن التأويل » للقاسميِّ (٤٢٧/٣) .

(٤) سبق تخريجه في رقم (٣) من حاشية (ص٩٩) .

وقال: «إنَّكمْ لَنْ تَنَالُوا هـذا الأَمْرَ بالمغالبة، وخَيْرُ دِيْنـكُمُ اليَسْرَةُ» (١).

وقـد ورد في شَمَائله - ﷺ - أنَّهُ: «كَانَ يُحبُّ ما خفَّ عَلَى النَّاس» (٢).

وعن عائشـةَ - رضي الله عنها - قالـتْ: «إنْ كَانَ رسولُ الله - ﷺ - لَيَدَعُ العَمَلَ - وهو يُحبُّ أَنْ يَعْمَلَ به - خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ» (٣).

فعلى الخطيب أنْ يُيَسِّرَ على النَّاسِ ، فيأمرهم بما يُطيقون اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ فقد كان رسولُ الله - ﷺ - وهو في صلاته يحسب حساب مَنْ يأْتَمُّون به؛ لئلاَّ يَشُقَّ عليهم ، وإذا توقَّع الحَرَجَ - ولو لواحدٍ مِمَّنْ خَلْفَهُ - اختصـر تيسـيراً ورَفْعًا للحَـرَجِ، فعن أبي قَتَادَةَ قال : قال رسولُ الله - ﷺ -: « إنِّي لأَقُومُ إلى الصَّلاة ، وأنا أُريدُ أَنْ أُطَوِّلَ فيها ، فأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فأَتَجَوَّزُ في صلاتي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّه » (٤).

وحين أرسل - ﷺ - معاذَ بْنَ جَبَلٍ وأبا موسى الأشعريَّ - رضي الله عنهما - إلى اليمن ، أوصاهما بالتيسير على الناس، فقال: « بَشِّرا وَيَسِّرَا ، وَعَلِّمَا ولا تُنَفِّرَا - وأراه قال - وَتَطَاوَعَا » (٥).

فمـا أجملَ أن يراعيَ الخطيبُ سُنَّةَ التَّيْسيرِ ، فلا يَشُقُّ على النَّاسِ بإيراد البديهيَّات ، وسَرْدِ أَقْوَالِ أَهْلِ العِلْمِ في المسألةِ الواحدةِ ، مِمَّا يُوقعُهم في حَيْص

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، والبيهقيُّ في شعب الإيمان ، وابنُ سَعْدٍ في طبقاته عن ابن الأدرع، وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٢٣١١) ، والصَّحيحة (١٧٠٩) .

(٢) رواه البخاريُّ وحسَّنه ، انظر « بلوغ الأماني » (١٥/٢٣) .

(٣) رواه البخاريُّ في التَّهجد (١١٢٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (١٧١٨)، وأحمدُ في مسنده (٦/٣٤ و١٦٨ و١٧٠).

(٤) رواه البخاريُّ في الأذان (٧٠٧) ، وأبو داود في الصَّلاة (٧٨٩) ، والنَّسائيُّ في الإمامة (٨٢٦) ، وابن ماجهْ في إقامة الصَّلوات (٩٩١) ، وأحمد في مسنده ، ورواه عن أنسٍ مسلم في الصلاة (٤٧٠) ، والترمذيُّ في الصلاة (٤٧٦) .

(٥) رواه البخاريُّ في الأدب (٦١٢٤) ، ومسلمٌ في الجهاد (١٧٣٣) .

OBEIKAN.COM

بيّص ، فمنَ التَّيْسيرِ أنْ يَذْكُرَ لهم القولَ الرَّاجحَ بدليله ، وهذا يحتاج إلى فقْه ، كما فعل ابْنُ عبَّاسٍ – رضي الله عنهما – حين رأى المَطَرَ متواصلاً وغزيراً يَوْمَ الجُمُعَة ، وخَشِيَ على النَّاسِ التَّخبُّطَ في الطِّين ، أو الانزلاقَ بسببه ، فقال للمُؤَذِّن أنْ يقولَ بدلاً من (حيَّ على الصَّلاَة) : « صَلُّوا في بُيُوتكُمْ » ، فكأنَّ النَّاسَ استنكروا ذلك ، واعترضوا عليه ، فقال ابْنُ عبَّاسٍ : « فَعَلَهُ مَنْ هو خيرٌ منِّي ، إنَّ الجُمُعَةَ عَزْمَةٌ ، وإنِّي كَرِهْتُ أنْ أُخْرِجَكُمْ في الطِّينِ والدَّحْضِ[١] » [٢] .

فانظر إلى قوله : « فَعَلَهُ مَنْ هو خيرٌ منِّي » ، فهذا شَأْنُ أهلِ العِلْمِ ، يُيَسِّرُونَ للنَّاسِ من كتاب الله إلى كتاب الله ، ومِنْ سُنَّة رسول الله إلى سُنَّة رسول الله ، لا شأن الأَحْدَاث ، يفعلون ذلك مِنْ تِلْقاءِ أنفسهم ، وقد يلتمسون للنَّاسِ الرُّخَصَ من أقوال أهل العلم ، ولا دليلَ عليها ؛ كي يُظهروا لهم أنَّهم مُيَسِّرون، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ! .

يقول الإمامُ البُخاريُّ – رحمه الله– : «وكانتْ الأَئمَّةُ بعد النَّبيِّ – ﷺ – يستشيرون الأُمَنَاءَ مِنْ أهلِ العلمِ في الأمورِ المباحة ؛ ليأخذوا بأَسْهَلِهَا ، فإذا وُضِعَ الكتابُ والسُّنَّةُ ، لم يتعدَّوْهُ إلى غيْرِه اقتداءً بالنَّبيِّ – ﷺ – » [٣] .

والتَّيْسيرُ لا يُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَد ، أمَّا التَّشديدُ فكُلُّنا نُحْسِنُه ، ولذلك قال معمرٌ وسفيانُ الثَّوريُّ : « إنَّما العِلْمُ أنْ تسمعَ بالرُّخْصَةِ مِنْ ثِقَةٍ ، وأمَّا التَّشديدُ فيُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَد » [٤] .

ومِمَّا ينبغي التَّنبيهُ عليه أنَّ التَّيسيرَ إنمَّا يكونُ للجاهلِ حتى يتعلَّمَ ، وترك

---

(١) **الدَّحْض** : الزَّلَق .

(٢) رواه البخاريُّ في الأذان (٦٦٨) ، وفي الجُمُعَة (٩٠١) ، وأبو داود في الصَّلاة (١٠٦٦) ، وابن ماجه في إقامة الصَّلوات (٩٣٩) .

(٣) « صحيح البخاريّ مع الفتح » (٣٣٩/١٣) .

(٤) « جامع بيان العلم وفضله » (ص٢٨٥) .

التشديد عليه في الابتداء ، فقد كان رسولُ الله - ﷺ - لا يقبلِ من أصحابه أيَّ نَوْعٍ من الإحراجِ ، إنَّما يقولُ لهم كما جاء في حديث أبي هُرَيْرَةَ في قصَّة الأعرابيِّ الذي بالَ في المسجد ، فثاروا عليه ، وكادوا يَقَعُون به ، فقال النَّبيُّ - ﷺ - : « **دَعُوْهُ ، وأَهْرِيقُوا على بَوْلِهِ ذَنُوْبًا**[(١)] **مِنْ ماءٍ ؛ فَإِنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِيْنَ ، وَلَمْ تُبْعَثُوْا مُعَسِّرِيْنَ** »[(٢)] .

(١) **الذَّنُوبُ** : هي الدَّلْوُ المُمْتَلِئَةُ ماءً .

(٢) رواه البخاريُّ في العلم (٢٢٠) ، وفي الأدب (٦١٢٨) ، وأصحابُ السُّنن في الطَّهارة ، وهو عند أبي داود (٣٨٠) ، والترمذيِّ (١٤٧) ، والنَّسائيُّ (٥٦) ، وابن ماجه (٥٢٩) ، ورواه عن أنسٍ مسلم في الطَّهارة (٢٨٤) .

OBEIKAN.COM

٦- الصبر

إنَّ الصبرَ من أعظمِ صفات الخطيب ، ونظراً لأهميَّته فقدْ جَعَلَ اللهُ - تبارك وتعالى - الإمامةَ في الدِّينِ موروثةً عن الصَّبر واليقين ، فقال - عزَّ من قائلٍ - : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

وذكر الله - تبارك وتعالى - الصَّبْرَ في القرآن الكريم في نيِّفٍ[١] وتسعين موضعاً، وأضافَ أكثرَ الدَّرجاتِ والخيراتِ إلى الصبر، وجعلها ثمرةً له، وجمع للصابرين بين أمورٍ لم يجمعْها لغيرهم، فقال ربُّ العزَّة والجلال: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧] [٢] .

وبشَّر نبيُّنا - ﷺ - بقوله : « **ما يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ** - أي وَجَعٍ وتَعَبٍ - ، **ولا وَصَبٍ** - أي مَرَضٍ - ، **ولا هَمٍّ ، ولا حَزَنٍ ، ولا أَذًى ، ولا غَمٍّ** - حتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا - **إلاَّ كَفَّرَ اللهُ بها مِنْ خَطَايَاهُ** »[٣] .

ومتى تصدَّر الخطيبُ لإرشادِ النَّاسِ وهدايتِهِمْ ، فقد استشرف لِغَمْزِ كثيرٍ من الناس ولَمزِهِمْ ، فإنْ قُدِّرَ أنَّه يسلمُ منهم فليس بخطيبٍ .

قال ابن حزمٍ - رحمه الله - : « بابٌ عظيمٌ مِنْ أبْوَابِ العقلِ والرَّاحة ، وهو طَرْحُ المُبالاة بكلامِ النَّاسِ ، واستعمالُ المبالاة بكلامِ الخالقِ - عزَّ وجلَّ - بل هذا بابُ العقلِ كُلِّه ، والرَّاحةِ كُلِّها ، ومَنْ قُدِّرَ أنَّه يسلمُ مِنْ طَعْنِ النَّاسِ وعيبِهم ، فهو مجنونٌ »[٤] .

---

(١) **النَّيِّف** : من الواحد إلى التِّسْعة، ونيِّف بمعنى زاد .

(٢) « عدَّة الصَّابرين » لابن القيِّم (ص٩٨) .

(٣) رواه البخاريُّ - واللَّفظ له - في المرضى (٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) ، ومسلمٌ في البرِّ والصِّلة (٢٥٧٣) ، وأحمد في مسنده عن أبي سعيدٍ وأبي هريرة .

(٤) « مداواة النفوس » لابن حزمٍ الأندلسي (ص٤٥) .

قال ابن القيِّم :

قُلْ لي مَتَى سَلِمَ الرَّسُوْلُ وَصَحْبُهُ ... وَالتَّابِعُوْنَ لَهُمْ عَلَى الإِحْسَانِ
مِنْ جَاهِلٍ ، ومُعَانِدٍ ، ومُنَافِقٍ ... ومُحَارِبٍ بالْبَغْيِ والطُّغْيَانِ ؟!
وَتَظُنُّ أَنَّكَ وَارِثًا لَهُمُ ، وما ... نِلْتَ الأَذَى في نُصْرَةِ الرَّحْمَنِ
كَلاَّ ، وَلاَ جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ ... في اللهِ لاَ بِيَدٍ ، وَلاَ بِلِسَانِ!

ومن جميلِ ما أوصى به لُقْمانُ ابْنَهُ الصَّبْرُ عَقِبَ الأمر بالمعروف ، والنَّهْيِ عن المنكرِ ؛ وذلك لأنَّ الآمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر لن يَسْلَمَ من طَعْنِ الناس وعيبهم ، وقد بيَّن لقمانُ لابنه أنَّ الصَّبرَ هنا من عَزْمِ الأمور ، قال الله – تبارك وتعالى – على لسان لقمانَ : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾

[لقمان : ١٧] .

بَنَى اللهُ بَيْتًا للأَخْيَارِ سَمَاؤُه ... هُمُومٌ وأَحْزَانٌ وحِيطانه الصَّبْرُ
وأدخلهم فِيهِ وأَغلَقَ بَابَهُ ... وقَالَ لهم مِفتَاحُ بابكم الصَّبرُ

فالزم – أخي – الصَّبْرَ تَسْتَوْفِ كمالَ الأجر ؛ فمن جميل ما قاله ابن حبَّانَ رحمه الله – : « الصَّبرُ : جِماعُ الأمر ، ونظامُ الحَزْم ، ودِعَامَةُ العَقْلِ ، وبَذْرُ الخير وحِيْلَةُ مَنْ لا حيلةَ له .

وأَوَّلُ درجتِه الاهتمامُ ، ثُمَّ التَّيَقُّظُ ، ثُمَّ التَّصبُّرُ ، ثُمَّ الصَّبرُ ثُمَّ الرِّضا ، وهو النهايةُ في الحالاتِ » [١] .

وقال – أيضًا – : « يجب على العاقل – إذا كان مبتدئًا – أنْ يلزمَ عندَ ورودِ الشِّدَّةِ عليه سلوكَ الصَّبرِ ، فإنْ تمكَّن منه حينئذٍ ، يرتقي من درجةِ الصَّبْرِ

(١) « روضة العقلاء » (ص١٦١ – ١٦٢) .

إلى درجة الرِّضا ، فإنْ لم يُرزَقْ صَبْرًا فَلْيَلْزَمِ التَّصَبُّرَ ؛ لأنَّه أوَّلُ مراتبِ الرِّضا ، ولو كان الصَّبْرُ من الرِّجالِ لكانَ رجُلاً كريمًا ؛ إذ هو بَذْرُ الخير ، وأساسُ الطَّاعات » (١) .

وما أَجْمَل ما قالهُ عُثْمانُ بْنُ عفَّان :

خَلِيْلَيَّ، لا واللهِ، مَا منْ مُلمَّةٍ(٢) ... تَدُوْمُ عَلَى حَيٍّ، وَإِنْ هيَ جَلَّت(٣)

فَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَلا تَخْضَعَنَّ لَهَا ... وَلاَ تُكْثِرِ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

فَكَمْ مِنْ كَرِيْمٍ قَدْ بُلِيَ بنَوَائِبٍ (٤) ... فَصَابَرَهَا حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحَلَّتِ

وكَمْ غَمْرَةٍ (٥) هاجَتْ بأَمْواجِ غَمْرَةٍ ... تلقَّيْتُهَا بالصَّبْرِ حتَّى تجلَّتِ

وَكَانَتْ عَلَى الأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً ... فلمَّا رأَتْ صَبْري على الذُّلِّ ذَلَّتِ

فقلتُ لها : يا نَفْسُ ، مُوتي كريمةً ... فَقَدْ كانتْ الدُّنيا لنا ، ثمَّ ولَّتِ (٦)

---

(١) المرجع السَّابق (ص١٦١) .
(٢) **المُلمَّة** : النَّازلة من نوازلِ الدَّهْرِ، جمعها مُلمَّات .
(٣) **جلَّت** : عظمت .
(٤) **نوائب** : جمع نائبة ، وهي المصيبة والنَّازلة .
(٥) **الغمرة** : واحدة الغمرات ، وهي الشَّدائد والأهوال .
(٦) «أدب الدُّنيا والدِّين» (ص٢٩١) .

OBEIKAN.COM

٧- اليَقِينُ

المؤمنُ على يقينٍ من نَصْرِ اللهِ له، حتَّى في مرحلةِ الابتلاءِ والمِحَنِ، فسبيلُهُ في تبليغِ دعوةِ اللهِ إلى العالمين هو الصَّبر واليقين، يقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .

[السجدة : ٢٤] (١).

وخصَّ اللهُ – سبحانه وتعالى – أهل اليقينِ بالانتفاعِ بالآياتِ مِنْ بَيْنِ العالمين ، فقال : ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

وخصَّهم بالهدى والفلاح ، فقال ـ تبارك ، وتعالى – : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ [البقرة : ٤ ، ٥] .

وأخبر عن أهل النار بأنَّهم لم يكونوا من أهل اليقين فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ [الجاثية : ٣٢] .

قال ابن القيِّم – رحمه الله – : « اليقين روحُ أعمالِ القلوب ، التي هي أرواحُ أعمالِ الجَوَارِحِ ، وهو حقيقةُ الصِّدِّيقيَّة ، وهو قُطْبُ هذا الشَّأْنِ الذي عليه مدارُهُ » (٢) .

---

(١) **قال ابن القيِّم – رحمه الله –** : « سمعتُ شيخَ الإسلامِ ابْنِ تيميَّةَ – قدَّس اللهُ رُوْحَهُ – يقول : بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدِّين . ثم تلا قوله – تعالى – : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدُون بأمرنا لمَّا صبرُوا وكانُوا بآياتنا يُوقنُون ﴾ . « تهذيب مدارج السَّالكين » (٥٦٠/٢) .

(٢) « تهذيب مدارج السَّالكين » (٧٢٧/٢) .

وقال - أيضًا -: « ومتى وصل (اليقين) إلى القلب ، امتلأ نوراً وإشراقًا، وانتفى عنه كُلُّ رَيْبٍ ، وَسَخَطٍ ، وهَمٍّ ، وغَمٍّ ، فامتلأ محبةً لله ، وخوفًا منه ، ورضًا به ، وشكرًا له ، وتوكُّلاً عليه ، وإنابةً إليه ، فهو مادَّةُ جميعِ المقامات ، والحاملُ لها » (١) .

واليقين أهمُّ ما يُؤْتَاه المَرْءُ كما في الحديث : « **وَسَلوا اللهَ اليقينَ والمُعَافَاةَ؛ فإنَّهُ لم يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ اليَقِيْنِ خَيْرًا مِنَ المُعَافَاةِ** » (٢) .

وقد حدَّث رسولُ الله - ﷺ - عن ثلاثة أصناف من النَّاس ، لا خَيْرَ فيهم، فعن فضالةَ بْنَ عُبَيْدٍ أَنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قال : « **ثلاثَةٌ لا تَسأَلْ عَنْهُمْ ... وَرَجُلٌ في شَكٍّ مِنْ أَمْرِ اللهِ ، والقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ** » (٣) .

وأخبر -ﷺ - أنَّ صلاح أوَّل هذه الأُمَّة بالزُّهْدِ واليقين، فقال : « **صَلاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بالزُّهْدِ واليقينِ ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بالبُخْلِ والأَمَلِ** » (٤) .

فكن - أخي - على يقينٍ بأنَّ العاقبةَ للمتقين ، وأنَّ المستقبلَ لهذا الدِّين، مهما اشتدتْ غُرْبَةُ الإسلام ؛ فإنَّ من سُنَّة الله كما أخبر - ﷺ - : « **لاَ يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ في هذا الدِّيْنِ غَرْسًا ، يَسْتَعْمِلُهُمْ فيه بطاعَتِه إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ** » (٥) .

---

(١) المرجع السابق (٧٢٨/٢) .

(٢) رواه التِّرمذيُّ في الدَّعوات (٣٥٥٨) ، وابن ماجَهْ في الدُّعاء (٣٨٤٩) ، وأحمد في مسنده ، والبخاريُّ في الأدب المفرد عن أبي بكرٍ . وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٦٣٢، ٤٠٧٢).

(٣) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد ، وابنُ حبَّانَ في صحيحه ، والطَّبرانيُّ في الكبير ، وأبو يعلى في مسنده ، وابن عساكر ، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٠٥٩) ، والصَّحيحة (٥٤٢) .

(٤) رواه أحمد في الزُّهد ، والطَّبرانيُّ في الأوسط ، والبيهقيُّ في الشُّعب عن ابن عَمْرٍو ، وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٨٤٥) .

(٥) رواه ابن ماجَهْ في السُّنة (٨) ، وأحمد في مُسنده ، والبخاريُّ في التاريخ عن أبي عِنْبَةَ الخَولانيِّ ، وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٧٦٩٢) ، والصَّحيحة (٢٤٤٢) .

OBEIKAN.COM

وقال – ﷺ – : « بَشِّرْ هذه الأُمَّةَ بالسَّنَاءِ ، والدِّينِ ، والرِّفْعَةِ ، والنَّصْرِ والتَّمكينِ في الأرضِ » (١) .

والأصلُ في الإسلامِ العُلُوُّ والارتفاعُ ، كما قال – ﷺ – : « الإسلامُ يَعْلو ، ولا يُعْلَى » (٢) .

وفي كُلِّ قَرْنٍ يجعل الله سابقين في الخيرِ ، يقتدي بِهِمُ النَّاسُ، كما قال – ﷺ – : « في كُلِّ قَرْنٍ منْ أُمَّتي سابقون » (٣) .

وفي كُلِّ قَرْنٍ يبعثُ اللهُ لهذه الأُمَّةِ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دينَها، كما قال –ﷺ – : « إنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهذه الأُمَّةَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِيْنَهَا » (٤) .

نُجُوْمُ سَمَاءٍ، كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ ، تأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهْ

(١) رواه أحمدُ في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، وابن حِبَّان في صحيحه ، والبيهقيُّ في الشُّعب ، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٢٨٢٥) .

(٢) رواه الروياني ، والدَّارقطْنيُّ ، والبيهقيُّ في سننه ، والضياء في المختارة عن عائذ بن عَمْرٍو، وحسَّنه الألبانيُّ في الإرواء (١٢٦٨) ، وصحيح الجامع (٢٧٧٨) .

(٣) رواه الحكيم عن أنسٍ ، وأبو نعيم في الحلية ، والديلميُّ عن ابن عُمَرَ ، وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٤٢٦٧) ، والصَّحيحة (٢٠٠١) .

(٤) رواه أبو داود ، والحاكم ، والبيهقيُّ في المعرفة عن أبي هريرة ، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح أبي داود (٩٢٩١/٣٦٠٦) ، وصحيح الجامع (١٨٧٤) ، والصَّحيحة (٥٩٩) .

OBEIKAN.COM

٨ - قُوَّةُ الشَّخْصِيَّةِ

إنَّ قوَّةَ الشخصيةِ تجعلُ لكلامِ الخطيبِ سلطانًا ساحرًا في أعينِ الناسِ وقلوبِهم ، وهي هبةٌ من اللهِ ، يهبُها مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِه ، وبوسعنا أنْ نَصِلَ إليها، إذا صلحت منَّا السَّرائرُ .

قال الشيخ محمَّدٌ أبو زهرة – رحمه الله – :

« قُوَّةُ الشَّخْصيَّةِ هي هبةٌ من اللهِ – تعالى – يهبها بعضَ الناسِ ، تَرَى كُلَّ مَنْ يلقاه يحسُّ بقوَّةِ روحِه ، وعِظَمِ نَفْسِه ، فَتَسْتَمِدُّ كلماتُهُ مِنْ نفسِه قُوَّةً ، نظراتُهُ شُعَاعٌ ينفذُ إلى القلوبِ ، وصوتُه يَهُزُّ النفوسَ هزَّاتٍ روحيَّةً ، تجعلها تلقفُ عباراتِه ، فتنطبعُ فيها مُكَبِّرَةً ، وإذا وهبَ اللهُ خطيبًا تلك الرُّوحَ ، قادَ الجماهيرَ وساقها بعصا موسى ، فلا تَشْرُدُ منه شاردةٌ » (١) .

فما أجملَ أنْ يكونَ الخطيبُ قويَّ الشخصيَّةِ ، مَهيبًا وقُورًا ، ذا نفوذٍ واقتدارٍ ؛ فإنَّ ذلك يجعلُ لكلامه روحًا من التأثيرِ والتنفيذِ ، يجعله يُطاعُ من غيرِ أيِّ اعتراضٍ ، حتى يتأثَّرَ بقولِه أشدُّ الناسِ بُغْضًا له .

إنْ كَانَ يُرْضِيكَ أنْ تَهْوِي(٢) جَمَاجِمُنَا ... عَلَى التُّرَابِ ، فَهَذَا الفِعْلُ يُرْضِينَا
مَا تَخْجَلُ الشَّمْسُ إلاَّ مِنْ مَوَاقِفِنَا ... وَلاَ تَهَابُ العِدَى(٣) إلاَّ مَوَاضِينَا(٤)

ومن اللَّطائف ما ذكره الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – : أن بعضَ أعداءِ نابليونَ ذهب للقائه ، فقال لصاحبه وهو ذاهبٌ إليه : « أيُّها الصديق ، إنَّ لذلك الرَّجل الشَّيطانيِّ في نفسي تأثيرًا لستُ أُدْرِكُهُ ، حتَّى أنَّك لتراني إذا

(١) « الخطابة » (ص٥٧) .
(٢) تَهْوِي : تسقطُ من أعلى إلى أسْفل .
(٣) العِدى : الأعداء .
(٤) المَواضي : السُّيوف القاطعة.

اقتربت منه ، تأخذني الرَّعْشةُ كالطِّفلِ الصَّغير ، ويُخَيَّلُ إليَّ أنه قادرٌ على إدخالي في سَمِّ [١] الخياط ، وإحراقي بالنَّار » [٢] .

إذا كان نهرو منقذاً فهو أهوجُ ... وإنْ كانَ تيتو قائداً فهو مُدْبِرُ
ولينينُ سَفَّاكًا ، وهتْلَرُ طَائشًا ... وصَوْلاتُ نَابلْيُونَ مَوْتٌ مُقطِّرُ
وَهَذا حَنِيْفٌ مُسْلِمٌ ثَابِتُ الخُطَا ... صَلاةٌ تُؤَدَّى ، أو كِتابٌ يُفَسَّرُ

وهناك وسائلُ لتنمية الشَّخْصيَّةِ ، نُجْمِلُها فيما يأتي :

١ - طلب العلم الشَّرعيِّ :

إنَّ المتمكِّنَ من العلومِ الشَّرعية ، والثَّقافة العامَّة ينظرُ النَّاسُ إليه نَظْرَةَ إكبارٍ وتقديرٍ ، كما قال الإمام أبو حنيفةَ – رحمه الله – وهو يتكلَّمُ عن شيخه حمَّاد ابن مسلمٍ ، حيثُ يقول : « مَا مَدَدْتُ رِجْلِي نَحْوَ دَارِهِ ، وَإِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعَ سِكَكٍ » [٣] .

وقال أبو عثمانَ المازنيُّ :

«رأيتُ الأَصْمَعيَّ وقد جاء إلى حلقة أبي زيد (كان من أئمة الأدب)، فقبَّل رأسَه، وجلس بين يديه، وقال: أنت رئيسُنا وسيِّدُنا مُنْذُ خمسين سنةً» [٤] .

وكان الحَسَنُ لا يستطيعُ أَحَدٌ أنْ يسألَهُ هيبةً لَهُ ، وكذلك مالكُ بْنُ أنسٍ يُهَابُ أنْ يُسْأَلَ ، حتَّى قال فيه القائل :

يَدَعُ الجَوَابَ ، فلا يُرَاجَعُ هيبةً ... والسَّائلُونَ نَوَاكِسُ [٥] الأَذْقَانِ
نُورُ الوَقَارِ ، وعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى ... فَهُوَ المَهِيبُ ، ولَيْسَ ذا سُلطَانِ

---

(١) أي ثقب الإبرة .
(٢) المرجع السابق (ص٧٢) .
(٣) « مع الرعيل الأوَّل » للخطيب (ص٦٨) .
(٤) « تذكرة السامع والمتكلِّم » للكنانيِّ (ص٨٩) .

٢ - التقْوى :

فمتى اتَّقَى العبدُ اللهَ ، جعل اللهُ له هيبةً ووَقَارًا ، ومنزلةً في قلوب عباده ، كما قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] .أي مودَّةً في قلوب عباده .

٣ - الشجاعة بنوعيها : شجاعة القلب ، وشجاعة العقل :

فالأولى تَحْمِلُهُ على ألاَّ يخافَ إلاَّ اللهَ ، والثَّانيةُ تَدْفَعُهُ إلى الصَّدْعِ بالحقِّ الذي يعتقدُه ، ويدعو إليه بحِكْمَةٍ ، يُصاحبها معرفةٌ للحقِّ ، ورحمةٌ بالخَلْقِ .

OBEIKAN.COM

٩- الشَّجَاعَةُ

الشَّجاعةُ من أهمِّ صفات الخطيب ، وهي تنبعُ من غرائزَ فطريَّة ، وقد جعلَ اللهُ أَمْرَ الدِّينِ لا يقومُ إلاَّ بالشَّجاعة ، ومَنْ تصدَّرَ للخَطَابَة ، لابُدَّ أَنْ يكونَ صاحبَ قَلْبِ شُجَاعٍ ، فعن أنسٍ قالَ : « كان رسولُ اللهِ - ﷺ - أَحْسَنَ النَّاس ، وأَشْجَعَ النَّاسِ ، وأَجْوَدَ النَّاسِ » (١) .

وكان -ﷺ- يقولُ : « لَوْ كَانَ لي عَدَدُ هَذه العِضَاه (٢) نَعَمًا (٣) ، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لا تَجِدُونِني بَخِيلاً ، ولا كَذُوبًا ، ولا جَبَانًا » (٤) .

قالَ ابنُ حجرٍ - رحمه الله - : « وفيه الخِصَالُ المذكورةُ ، وهي : البُخْلُ، والكَذِبُ ، والجُبْنُ ، وأنَّ إمامَ المسلمينَ لا يصلحُ أنْ يكونَ فيه خَصْلةٌ منها » (٥) .

وقالَ الصَّحابيُّ الجليلُ البَرَاءُ بْنُ عازبٍ واصفًا شَجَاعَتَهُ - ﷺ - : « كنَّا - واللهِ - إذا أحمرَّ البَأْسُ نتَّقي به ، وإن الشُّجاعَ منَّا لَلَّذي يُحَاذي به » (٦) .

والجُبْنُ شرٌّ استعاذ منه رسولُ اللهِ - ﷺ - فَقَدْ كان من دعائه : « **اللَّهُمَّ إني أعوذُ بكَ منَ الجُبْنِ** » (٧) .

---

(١) رواه البخاريُّ في الجهاد (٢٨٢٠) ، وفي الأدب (٦٠٣٣) ، ومسلمٌ في الفضائل (٢٣٠٧) ، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٧٢) .

(٢) **العضاه** : كلُّ شجرٍ عظيمٍ له شَوْكٌ ، واحدها عِضَةٌ .

(٣) **نَعَمًا** : أي إبلاً .

(٤) رواه البخاريُّ من حديث جُبَيْر بن مُطْعِمٍ في الجهاد (٢٨٢١) ، وفي فرض الخُمُس (٣١٤٨) ، والنَّسائيُّ من حديث ابن عمرٍو في الهبَة (٣٧١٨) .

(٥) « فتح الباري » (٦/٢٥٤) .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه البخاريُّ في الجهاد (٢٨٢٢) ، والتِّرمذيُّ في الدَّعوات (٣٥٦٧) ، والنَّسائيُّ في الاستعاذة (٥٤٤٧) عن سعدٍ .

OBEIKAN.COM

واعتبرهُ – ﷺ – شرَّ صفاتِ الرَّجلِ ، فقال : « شرُّ ما في الرَّجُلِ : شُحٌّ هالِعٌ ، وجُبْنٌ خالِعٌ » (١) .

وتَكْمُنُ شجاعةُ الخطيبِ في رباطةِ جأشِه (٢) ، وسكونِ خاطرِه ، واطمئنانِ نَفْسِه ، فهو يُواجِهُ الجُمُوعَ وعليه السَّكينةُ ، واثقًا من نَفْسِه ، مؤمنًا بما يقولُ ، قديرًا على ضبْطِ الموقفِ.

والخطيبُ الشُّجاعُ يَهْدأُ – أَحْيانًا – في موقفِ الهُدُوءِ، فيلطفُ صوتَه ، وتَخفُّ نَبْرتُه ، ويُزْمجِرُ في موقفِ الإثارةِ والقوَّةِ، فيشدُّ الحاضرين ، ويُلْهِبُ القلوبَ بسياطِ وَعْظِه ، ويصكُّ صوتُه الآذانَ ، فتصلُ حرارةُ كلماتِه إلى سُوَيْداءِ القلوبِ (٣) .

لَكَ اللهُ، ما هذي الشَّجاعَةُ في الْوَغى (٤) ؟! أَأَنْتَ زَحُوفُ السَّيْلِ، أَمْ أَنْتَ حَيْدَرَةْ (٥) ؟!
تَقَدَّمْتَ حتَّى هابَتِ البِيْضُ (٦) والقَنَا (٧) وَصَارَتْ رِمَاحُ القَوْمِ فِيكَ مُكَسَّرَةْ!

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥١١) ، والبخاريُّ في التَّاريخ عن أبي هريرة ، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٧٠٩) ، والصَّحيحة (٥٦٠) .
(٢) **الجأش** : القلْب والصَّدر .
(٣) انظر « مملكة البيان » لعائضٍ القرنيِّ (ص١٣) .
(٤) **الوَغى** : الحرب .
(٥) **حيدرة** : من أسماء الأسد .
(٦) **البِيْضُ** : السُّيُوفُ ، والمفرد أبيضُ .
(٧) **القَنَا** : الرِّماح ، والمفرد قَنَاة .

OBEIKAN.COM

١٠- عُلُوُّ الهِمَّةِ

من الضَّروريِّ أنْ يتَّصفَ الخطيبُ بعُلُوِّ الهمَّة ؛ لأنَّ الهمَّةَ العاليةَ تُكْسِبُهُ الشجاعةَ الأدبيَّةَ ، والجدَّ والإباءَ، والتَّرفُّعَ عن الدَّنايا ، واستصغارَ متَاعِ الدُّنيا ، فلا يُريقُ ماءَ وَجْهِه في سبيلِ الحُصُولِ على غرضٍ زائلٍ ، أو يُفْنِي عُمْرَهُ بحثًا عن منْصبٍ أو جَاهٍ ، يكونُ منْتَهَى طُمُوحه ، بل يرى أنَّ الجنَّةَ هي منْتَهَى غايته، فهي التي يجبُ أنْ يَسْعَى لها سَعْيَهَا ، ومتى اتَّصف الخطيبُ بعُلُوِّ الهمَّةِ، فلنْ يرضى بما دُونَ الغايةِ منَ العِلْمِ والعَمَلِ ، ولنْ يقنعَ بالدُّون من البلاغة وجميلِ البَيَان ، ولَنْ يَقْعُدَ عن البلاغِ المبين ، ولنْ يلتفتَ إلى الصَّغائرِ ومُحَقَّرات الأمور ؛ فَـ « إنَّ اللهَ – تبارك ، وتعالى – يُحبُّ مَعَالِيَ الأمورِ ، ويَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا » (١).

ومن وصيَّة إمام دار الهجرة : « وعليك بمعالي الأمور وكرائمها ، واتَّقِ رذائلَها ، وما سفَّ منها ؛ فإنَّ اللهَ – سبحانه وتعالى – يُحِبُّ مَعَالِيَ الأمورِ، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا» (٢)

ومن درر ابن الجوزيِّ – يرحمه الله – : « مِنْ عَلاَمَةِ كَمَالِ العَقْلِ عُلُوُّ الهمَّةِ، والرِّاضي بالدُّونِ دَنِيءٌ » (٣).

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في الكبير (١٣١/٣) (٢٨٩٤) عن الحُسَيْنِ بنِ عليّ ، وابْنُ عَديّ في الكامل (٨٧٩/٣) ، والحاكمُ ، وأبو نعيمٍ في الحلية ، وأبو الشيخ عن سَهْلٍ ، وابن عساكر ، وابن النَّجار عن سَعْدٍ ، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (١٨٩٠)، والصحيحة (١٣٧٨) .

(٢) « أقوال مأثورة وكلمات جميلة » (ص٥٥٣) عن «ترتيب المدارك» (١٨٧/١ – ١٨٨) .

(٣) « صيد الخاطر » (٣٩/١) .

ومن جميلِ ما يُذْكَرُ عن ابن طوقان قولُهُ :

كَـفْكِفْ دُمُـوْعَكَ ؛ لَيْسَ يَنْـ ... فَـعُكَ البُكَاءُ ، ولا العَـوِيلُ
وَانْهَضْ ، وَلاَ تَشْكُ الزَّمَـا ... نَ ؛ فَـمَـا شَكَا إلاَّ الكَسُـولُ
وَاسْلُكْ بِهِـمَّـتِكَ السَّبِـيْـ ... لَ ، وَلاَ تَقُلْ : كَـيْفَ السَّبِـيلُ؟
مَـا ضَلَّ ذُو أَمَلٍ سَـعَى ... يَوْمًـا ، وَحكْمَـتُـهُ الدَّلِيلُ
كَـلاَّ ، وَلاَ خَـابَ امْـرُؤٌ ... يَوْمًـا ، وَمَـقْـصَـدُهُ نَبِـيلُ [١] .

ووفد النابغة حسَّانُ بْنُ قَيْسٍ الجَعْديُّ على رسولِ الله – ﷺ – فقال: « يا رسولَ الله ، عندي قصيدةٌ » . قال رسولُ الله – ﷺ – : « قُلْ » . قال :

تَذَكَّرْتُ، والذِّكْرى تهيجُ عَلَى الفَتَى ... وَمِنْ عَـادَةِ المَحْـزُوْنِ أَنْ يَتَـذَكَّـرَا
بَلَغْنَا السَّمَـا جُوْدًا وَمَجْدًا، وسُؤْدَدًا [٢] ... وَإِنَّا لَنَرْجُـو – فَـوْقَ ذَلِكَ– مَظْهَـرَا

فتبسَّمَ رسـولُ الله – ﷺ – وضَحِكَ ، وقالَ : « إلى أين المَظْهَرُ ، يا أبا ليلى ؟ » . قال : « إلى الجنَّةِ ، يا رسولَ الله » . قال : « لا فُضَّ فُوكَ !» [٣] .

وقال عُمَرُ بْنُ عبد العزيز : « إنَّ لي نفسًا توَّاقَةً ، لمْ تَزَلْ تتُوقُ إلى الإمارةِ، فلمَّا نِلْتُها تاقتْ إلى الخلافةِ ، فلمَّا نِلْتُها تاقتْ إلى الجنَّةِ » [٤] .

وقيل للعتابيِّ : « فلانٌ بعيدُ الهِمَّةِ » . قال : « إذًا ليس له غايةٌ دُوْنَ الجنَّةِ» [٥] .

---

(١) « ديوان إبراهيم طوقان » (ص ٦٥ – ٦٦) .
(٢) السُّؤْدَدُ : الشَّرفُ والمجدُ والسِّيادةُ .
(٣) انظر « الإصابة » (٣٩٤/٦) و« مَجْمَع الزوائد » (١٢٦/٨) .
(٤) « عيون الأخبار » (٢٣١/١) .
(٥) المرجع السابق (٢٣٣/١) ، وأخرجه الحارث في مسند الحارث « زوائد الهيثميِّ » (٨٩٤) ، وأبو محمَّدٍ الأنصاريُّ في « طبقات المحدّثين بأصبهان» (٢٧٥/١) .

١١- التَّواضُعُ

لا شكَّ – أخي الخطيبَ – أنَّ مَجامعَ حُسْنِ الأخلاقِ التَّواضُعُ ، وضِدُّهُ الكِبْرُ ، وهو جامعٌ لمساوئ الأخلاقِ .

والتواضعُ أهمُّ طُرُقِ اكتسابِ الحكْمَةِ ، وإصابةِ الصَّوابِ في الأقوالِ والأفعالِ ، فعن ابن عبَّاسٍ – رضي الله عنهما – أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال : « ما منْ آدميٍّ إلاَّ في رأسه حكْمَةٌ بيَد مَلَك ، فإذا تواضعَ قيل للْمَلَك : ارفعْ حكْمَتَهُ ، وإذا تكبَّرَ قيل للْمَلَك : ضعْ حكْمَتَهُ » (١) .

والتواضعُ يُكْسِبُكَ المودَّةَ والمحبَّةَ ، ويجعلُ لكلامك لَذَّةً وأريحةً ، وارتياحًا ، وانشراحًا .

والعاقلُ يعلمُ أنَّ التَّكبُّرَ يُؤَدِّي إلى كراهيَته ، وكَراهة ما عندَهُ من الحقِّ ، فقد نقَلَ الشَّاطبيُّ عن أبي حامدٍ الغزاليِّ – رحمهما الله – قولَهُ : « أكثرُ الجهالاتِ إنَّما رسختْ في قُلوبِ العَوامِّ بتعصُّبِ جَهَلَةِ أَهْلِ الحقِّ ، أظهروا الحقَّ في مَعْرِضِ التَّحدي والإذلال ، ونظروا إلى ضُعَفَاءِ الخُصُومِ بعَيْنِ التَّحقيرِ والازدراءِ ، فثارتْ في بَواطنهمْ دواعي المعاندة والمخالفة ، ورسخَتْ في قُلوبهم الاعتقاداتُ الباطلةُ ، وتعَذَّرَ على العُلماءِ المتلطِّفين مَحْوُها مع ظهورِ فسادِها » (٢) .

أي أخي الخطيب ، اعلمْ ـ حفظكَ اللهُ ، وبارك فيك ـ أنَّه قَدْ تكون عندَ

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في الكبير (٢١٨/١٢) ، وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة عند البزَّار ، وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٥٦٧٥) ، والصَّحيحة (٥٣٨) .

(٢) « الاعتصام » (٢٣٠/٢) .

الإنسان الضَّعيف الظَّلوم الجَهُول - مثْلي ومثْلك - خَصْلَةٌ من خصَال الكبْر لا يُتفَطَّنُ لها ، حتَّى إنَّ أحدنا يَرى صَديقًا له ، وتنفرجُ أساريرُه ، ويهشُّ له ، ويبشُّ على انقباضٍ منه ، ويرى آخرَ إلى جواره يهشُّ له ، فلا يأْبَهُ به، وربَّما لاحَ [١] له أنَّه يُريدُ حاجةً ، وهذا من أبواب الكِبْر ، وأبوابُه الغَامضةُ كثيرةٌ .

قال الشاعر :

تَواضَعْ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لاحَ لنَاظِرٍ ... عَلَى صَفَحَاتِ المَاءِ وَهُوَ رَفِيعُ
وَلا تَكُ كَالدُّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِهِ ... إِلَى طَبَقَاتِ الجَوِّ وَهُوَ وَضِيعُ

ومن التَّواضع ألاَّ تستخدمَ أسلوبَ الأَمْر والنَّهْي في خطَابَتك ، ووعْظك ، ودَعْوتك ؛ فإنَّ الحُكَمَاءَ لا يَسْتَخْدمُونَ هذا الأسلوب إلاَّ مع أولادهم ، وأزواجهم، وخدَمهم لعلمهم أنَّ أسلوبَ الترغيب والترهيب أقصرُ طريقٍ إلى القُلوب والعُقول ، وهو الذي يَحْصُلُ به طُمأْنينةُ النُّفوس ، وشفَاءُ الصُّدور ، ولكنْ إذا كُنْتَ ذا سُلْطَانٍ ، أو شيخَ عِلْمٍ ، ومَنْ حولَك هُمْ طُلاَّبٌ لك - فهنا لا بأْسَ من استخدامِ الأَمْرِ والنَّهْي .

قال البُحْتُريُّ :

دَنَوْتَ تَوَاضُعًا ، وَعَلَوْتَ مَجْدًا ... فَشَأْنَاكَ انْخِفَاضٌ وَارْتِفَاعُ
كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى [٢] ... وَيَدْنُو الضَّوْءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ!

ومن السُّنَّة رَفْعُ الخطيب صَوْتَهُ من غَيْر تكلُّف يُخْرجُهُ عن حدِّ الاعتدال ، مثل : الحدَّة ، والغلْظَة ، والزِّعاق ؛ وإنَّما الطريقةُ المُتَّبَعَةُ أنْ يرفعَ صَوْتَه بحيثُ يَظْهرُ عليه الوَقَارُ ، وحُسْنُ السَّمْتِ من غيرِ تَكلُّفٍ لهما .

---

(١) لاحَ : ظَهَرَ .
(٢) تُسامى : تفاخر .

قال أبو نُوَاسٍ :

حَذِّرْتُكَ الكِبْرَ ، لا يَغْشَاكَ مَبْسَمُهُ ... فَإِنَّهُ مَلْبَسٌ ، نَازَعْتَهُ اللهَ
يَا بُؤْسَ ذي جِلْدٍ في جَوْفِ مجوفه ... يَحْوِي مَقَاذِيرَ ، إِنْ كَلَّمْتَهُ تَاهَا
إِنِّي لأَمْقُتُ نَفْسِي عِنْدَ نَخْوَتِهَا ... فَكَيْفَ آمَنُ مَقْتَ اللهِ إِيَّاهَا ؟!

ومنَ التَّواضعِ أن تُخاطبَ النَّاسَ بما يُمْكِنُهُمْ عَمَلُه، وبما يمكنهم تفاديه، ولا تُضيِّقْ عليهم بالإطالة والإطناب في إيراد البديهيَّات .

ومن تواضعِ الخطيبِ النَّاجحِ أنْ يبقى على سَجيَّته ، فيدَعُ الوَقَارَ المتصنَّعَ ؛ حتَّى لا يُظَنَّ به الظُّنونُ ، فإنَّ الوَقَارَ الذي يفرضُه العِلْمُ له نورٌ وجلالٌ وجمالٌ، والهيبةُ هبةٌ من الله ، يهبها مَنْ يشاءُ من عبادِه .

وأخيرًا قال السَّهيليُّ :

تَوَاضَعْ إِذَا كُنْتَ تَبْغِي العُلا ... وكُنْ راسِيًا عِنْدَ صَفْوِ الغَضَبْ
فَخَفْضُ الفَتَى نَفْسَهُ رِفْعَةٌ ... لَهُ ، واعْتَبِرْ بِرُسُوبِ الذَّهَبْ

١٢- الاستقلال

الخطيبُ النَّاجحُ مُسْتَقِلٌ بشخصيَّته، جارٍ على سَجيَّته [١]، غَيْرُ مُقَلِّد لغيره في صَوْته، وحركَاته، وإشَارَته، فالتَّقْليدُ والتكلُّف عادةٌ غَيرُ حَميدة، تَدلُّ على الانهزام، وضَعْف الشَّخْصيَّة، ودُنُوِّ الهمَّة .

قال الله – سبحانه وتعالى – لنبيِّه :﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وما أنا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] .

وقالَ عُمَرُ بْنُ الخطَّاب – رضي الله عنه – : « نُهينا عَنِ التَّكلُّف » [٢] .

ومعلومٌ أنَّه قد وجد المقتضي لهذا في عَصْرِ النَّبيِّ – ﷺ – ، وعصر صَحَابَته – رضي الله عنهم – ومع ذلك لم يُعْلَمْ أنَّ الصَّحابَةَ كانوا يحاكون صَوتَ رسول الله – ﷺ – في قراءته للقرآن، أو خَطَابَته، أو خطَابه مع شدَّة حُبِّهم له، وقَدْ عُلِمَ في « الأصول » : « أنَّ تركَ العَمَلِ بالشَّيْءِ في عَصْرِ النَّبيِّ – ﷺ – مع وجودِ المُقْتضي له يدلُّ على عدمِ المشروعيَّة » .

ولله درُّ الشَّاعر حيثُ قال :

يأيُّها المُتَحلِّي غَيْرَ شيمَته [٣] ... ومَنْ شَمَائلُهُ [٤] التَّبْديلُ والمَلَقُ [٥]

ارْجِعْ إلى خُلقكَ المَعْروفِ دَيْدَنُهُ [٦] ... إنَّ التَّخلُّقَ [٧] يأتي دونَهُ الخُلُقُ [٨]

---

(١) **السَّجيَّة** : الخُلُق والطَّبيعة ، والجمع سَجَايا .

(٢) أخرجه البخاريُّ (٢٢٩/١٣) .

(٣) **الشِّيمة** : الخُلُق ، والجمع شِيَم .

(٤) **الشَّمائل** : الأخلاق ، مفردها شمال .

(٥) **المَلَقُ** : الوُدُّ واللُّطْفُ الظَّاهران ، ومنه : الرَّجلُ المَلِق : وهو الذى يُعطي بلسانه ما ليس في قلبه.

(٦) **الدَّيْدَنُ** : الدَّأْبُ والعادة .

(٧) **التَّخلُّق** : أنْ يَتلطَّفَ الإنسانُ غَيْرَ خُلُقه .

(٨) **يقول** : لا تتكلَّفْ ما ليس من خُلُقكَ؛ لأنَّك إنْ فَعَلْتَ ذلك غلبك طبعُكَ، وانكشف للنَّاس تصنُّعُك

وقال أبو الطيِّب :

وَأَسْرَعُ مَفْعولٍ فَعلْتَ تَغَيُّراً تَكَلُّفُ شيءٍ في طِبَاعكَ ضِدُّهُ

أخي، إنَّكَ لَتَعْجَبُ لظاهرة المُحَاكَاة والتقليد في الصَّوْت، والحَرَكات، والإشَارَات، كُلٌّ بحَسْبِ مَنْ أَعْجَبَهُ أو أَعْجَبَ النَّاسَ، حتى أصبح عندنا كشْكُ اليمن ، وقطَّانُ اليمن ، وقَرَنيُّ اليمن .

فحريٌّ بالخطيب أنْ يتركَ التقليدَ بجميعِ صوَرِه ، فما قلَّد خطيبٌ غيْرُهُ إلاَّ سَقَطَ من العُيُون ، وانصرفتْ عَنْهُ الأسماع، وظَلَّ موضعَ النَّقْد والسُّخرية، وما مَثَلُ مَنْ يُقلِّدُ غيرَهُ إلا كَمَثَلِ الغُرَاب الذي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الحَجَلَة ، فَرَامَ أنْ يَتعلَّمَهُ، فَصَعُبَ عليه، ثُمَّ أرادَ أَنْ يَرْجِعَ إلى مَشْيِهِ فَنَسِيَهُ ، فَبَقِيَ مُخَبَّلَ المَشْي، كما قيل :

إنَّ الغُرَابَ – وكان يمشي مِشْيَةً فيما مَضَى مِنْ سَالف الأجيال –
فَحَسَدَ القَطَا [١] وأراد يَمشي مَشْيَها فأصابهُ ضَرْبٌ [٢] مِنَ العُقَّال
فأضَلَّ مِشْيَتَهُ، وأَخْطَأَ مَشْيَها فلذاك كَنَّوْهُ أبا مِرْقَال

---

(١) **القَطَا** : ضَرْبٌ من الطَّيْر، يُشْبِهُ الحمام ، واحده قَطَاة .
(٢) **ضَرْبٌ** : نوع ، جمعه أَضْرُبٌ ، وأَضْرابٌ ، وضُرُوبٌ .

١٣- القناعة والعفة

لكي يُحبَّكَ النَّاسُ؛ عليك بالزُّهْدِ عَمَّا في أيديهم ، فأنظارُ النَّاسِ مُتَّجهةٌ إليك ، فالناسُ لا يُوقِّرون مَنْ يأخذُ منهم ؛ وذلك أنَّ النَّاسَ جُبِلُوا على حُبِّ المالِ .

قال – تعالى – : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر : ٢٠] .

فمتى نازعتَ الناسَ فيما يُحبُّون ، كرهوك واستثقلوك ، ومن ثَمَّ جاءتْ النُّصوصُ تحثُّ على التَّعفُّفِ ، وقصرِ النَّظرِ عَمَّا في أيدي الناس .

قال الله – تبارك وتعالى – : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] .

وعن أبي العبَّاس سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعديِّ – رضي الله عنه – قالَ : جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ – ﷺ – فقال : « يا رسولَ الله ، دُلَّني على عَمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ أحبَّني اللهُ ، وأحبَّني النَّاسُ » . فقال : « ازْهَدْ في الدُّنيا يُحبَّكَ اللهُ ، وازْهَدْ فيما عندَ النَّاسِ يُحبَّكَ النَّاسُ » (١) .

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ – رضي الله عنه – : أنَّ ناسًا من الأنصارِ سألوا رسولَ الله – ﷺ – فأعطاهم ، ثُمَّ سألوه فأعطاهم ، حتى نَفِدَ ما عندَه ، فقال : « ما يَكُنْ عندي مِنْ خيرٍ ، فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، ومَنْ

---

(١) رواه ابن ماجَهْ في الزُّهد (٤١٠٢) ، والحاكم في الرقاق (٣١٣/٤) ، والطَّبَرانيُّ في الكبير ، والبيهقيُّ في الشُّعب ، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٢/٣ ، ٢٥٣) بأسانيد حسنة . قال الصَّنعانيُّ في «سبل السلام» : « وقد حسَّن النَّوويُّ الحديثَ لشواهده ، وحسَّن إسناده الشَّيخ شعيب في تحقيق «رياض الصَّالحين» . انظر حاشية «رياض الصالحين» (ص٢٤٢) ، وقد صحَّح الحديث الألبانيُّ في صحيح الجامع (٩٢٢) ، والصَّحيحة (٩٤٤) .

يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللهُ ، ومَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خيرًا وأَوْسَعَ منَ الصَّبرِ » (١) .

وعن حكيمِ بْنِ حِزامٍ - رضي الله عنه - قال : سألتُ رسولَ الله - ﷺ - ، فأعطاني ، ثُمَّ سألتُهُ فأعطاني ، ثُمَّ سألتُهُ فأعطاني ، ثُمَّ قال :« يا حكيمُ ، إنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بسَخاوَةِ نَفْسٍ - أي بغيرِ شرهٍ ، ولا إلحاحٍ ، وبغيرِ سؤالٍ - بُورِكَ لَهُ فيه ، ومَنْ أخذه بإشرافِ نَفْسٍ - أي طَمَعِ النَّفْسِ فيه ، وتطلُّعها إليه - لم يُبارِكْ له فيه ، كالذي يأكلُ ولا يشبعُ ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ من اليَدِ السُّفْلَى » (٢) .

قال حكيمٌ : قلتُ : « يا رسولَ الله ، والذي بَعَثَكَ بالحقِّ لا أَرْزَأُ (٣) أَحَدًا بَعْدَكَ شيئًا حتى أُفَارِقَ الدُّنيا » . فكانَ أبو بكرٍ - رضي الله عنه - يدعو، حكيمًا إلى العطاءِ ، فيأبى أنْ يقبلَهُ منه ، ثُمَّ عُمرُ - رضي الله عنه - دَعَاهُ ؛ ليُعْطِيَهُ فأبى أنْ يَقْبَلَ منه شيئًا . فقال عُمرُ : إنِّي أُشْهِدُكُمْ - يا مَعْشَرَ المسلمين - على حكيمٍ أنِّي أَعْرِضُ عليه حَقَّه من هذا الفَيْءِ ، فيأبى أنْ يأْخُذَهُ . فلم يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا من النَّاسِ بَعْدَ رسولِ اللهِ - ﷺ - حتَّى تُوُفِّيَ » (٤) .

ويفسِّر ابن حجرٍ سببَ ذلك بقوله : « وإنَّما امتنع حكيمٌ من أخذِ العطاء - مع أنه حقُّه - ؛ لأنَّه خَشِيَ أنْ يقبلَ من أحدٍ شيئًا ، فيعتادَ الأخذَ ، فتتجاوز

---

(١) رواه البخاريُّ (١٤٦٩) ، ومسلمٌ (١٠٥٣) ، وأبو داود (١٦٤٤) ، والنَّسائيُّ (٢٥٨٩) ، رَوَوْهُ في الزَّكاة ، ورواه التِّرمذيُّ في البرِّ والصِّلة (٢٠٢٤) ، وأحمدُ في مسنده ، ومالكٌ في موطَّئه .

(٢) وفي حديث ابن عُمرَ مرفوعًا : « واليدُ العُلْيَا : المنفقةُ ، والسُّفْلَى: السَّائلةُ » . أخرجه البخاريُّ (١٤٢٩) ، ومسلم (١٠٣٣) ، وأبو داود (١٦٤٨) ، والنَّسائيُّ (٢٥٣٤) ، وهو عندهم في الزَّكاة ، وأخرجه أحمدُ في مسنده .

(٣) أصله من الرُّزْء وهو النُّقْصان ، أي لم يَنْقُصْ أحدًا شيئًا بالأخذ منه .

(٤) رواه البخاريُّ (١٤٧٢) ، ومسلمٌ (١٠٣٥) ، والنَّسائيُّ (٢٦٠٤) ، رَوَوه في الزَّكاة ، ورواه التِّرمذيُّ في صفة القيامة (٢٤٦٣) ، وأحمد في مسنده .

بـه نفسـه إلى ما لا يـريده ، فَفَطَـمَهَا عن ذلك ، وترك ما يَرِيبُهُ إلى ما لا يَرِيبُهُ » (١) .

وعن عَـوْف بْنِ مـالكٍ – ﷺ – قـال : كُنَّا عندَ رسـول الله – ﷺ – تِسْعَـةً، أو ثمـانيةً ، أو سبعةً ، فقـال :« ألا تُبـايعون رسولَ الله ؟ » . وكنَّا حَـديثي عَـهْدٍ ببَـيْعةٍ ، قلنا : « قد بايعناك ، يا رسولَ الله » . ثُمَّ قـالَ :« ألا تبـايعونَ رسولَ الله ؟! » . قـال : فبسطـنا أيدينا ، وقلنا : « قد بايعناك – يا رسول الله – فعَلامَ نُبايعُكَ ؟! » . قال :« على أنْ تَعْبدوا اللهَ ، ولا تشركوا به شيئًا، والصَّلَوَات الخَمْس، وتُطيعوا – وأسرَّ كلمةً خفيةً – ولا تسألوا النَّاسَ شيئًا » . فلقد رأيتُ بعضَ أولئك النَّفَرِ يسقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ ، فما يسأل أحدًا يُناوِلُهُ إيَّاه (٢) .

هُمُ القَوْمُ ، إنْ قَالوا أصابُوا، وإنْ دُعُوا أَجَـابوا، وإنْ أُعْطُوا أَطَابوا وأَجْـزَلُوا
وَلا يَسْـتَطِيْعُ الفَـاعِلُونَ فِـعَـالَهُمْ وَلَوْ حَـاوَلُوا في النَّائِبَـاتِ وأَجْـمَلُوا!

وفي حوارٍ مع أبي ذرٍّ – ﷺ – قال رسولُ الله – ﷺ – :« كيف أنت وجوعًا يُصيبُ النَّاسَ ، حتى تأتيَ مَسْجدَكَ ، فلا تستطيعُ أن تَرْجعَ إلى فِراشكَ ، ولا تستطيعُ أَنْ تَقُوْمَ منْ فراشكَ إلى مَسْجدكَ ؟! » قال : «قلتُ : اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ » . قال :« عَلَيْكَ بالعفَّة » (٣) .

والزُّهْد بما في أيدي الناس يُحبِّبُ المَرْءَ إليهم ، وفي وصيةٍ موجزةٍ قال

---

(١) «فتح الباري» شرح حديث (١٤٧٢) .

(٢) رواه مسلمٌ في الزكاة (١٠٤٣) ، وأبو داود في الزَّكاة (١٦٤٢) ، والنَّسائيُّ في الصَّلاة (٤٦١) ، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٦٧) .

(٣) رواه أبو داود في الفتن (٤٢٦١) ، وابن ماجَهْ في الفتن (٣٩٥٨)، وأحمدُ في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، وابنُ حبَّانَ في صحيحه . انظر سنن ابن ماجه للألبانيِّ (٣١٩٧) ، والإرواء له (٢٤٥١) ، وصحَّحه في صحيح الجامع (٧٨١٩) .

رسول الله – ﷺ – : « وأَجْمِعِ اليأْسَ عَمَّا في أيدي النَّاسِ »[١] .

وفي وصيَّة جبريلَ لرسول الله – ﷺ – : « وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المؤمنِ قِيَامُهُ باللَّيل ، وعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عن النَّاسِ »[٢] .

ومن اللطائف : أنَّ الصَّحابيَّ الجليلَ عبدَ الله بْنَ الأَرْقَمِ – رضي الله عنه – طلب بعيراً من بيت المال ، فعُرِضَ عليه جملٌ من الصَّدقة ، فأبى واستنكر أنْ يُعْرَضَ عليه ذلك ، وقال لصاحبه : « أَتُحِبُّ أَنَّ رجلاً بادناً في يومٍ حارٍ غسل لك ما تحت إزاره ورفغيه ، ثُمَّ أعطاكَهُ ، فشربتَهُ ؟ » . فغضب الرجل ، وقال : «يغفرُ اللهُ لكَ ، أَتَقُولُ لي مِثْلَ هذا ؟! » . فقال عبدُ اللهِ بْنُ الأَرْقَمِ : « إنَّما الصَّدقةُ أَوْسَاخُ النَّاسِ ، يغسلونها عنهم »[٣] .

قال عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الحَسَنِ :

إِذَا أَظْمَأَتْكَ أَكُفُّ اللِّئَامِ ... كَفَتْكَ القَنَاعَةُ شِبَعاً وَرِيَّا

فَكُنْ رَجُلاً رِجْلُهُ في الثَّرَى ... وَهَامَتُهُ[٤] فِي الثُّرَيَّا[٥]

أَبِيّاً[٦] لِنَائِلِ[٧] ذي نِعْمَةٍ ... تَرَاهُ بِمَا فِي يَدَيه أَبِيَّا

فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الحَيَاةِ ... دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ المُحَيَّا[٨][٩]

---

(١) رواه ابن ماجه – واللَّفظُ له – في الزُّهد (٤١٧١) ، وأحمد في مسنده عن أبي أُيوب. انظر صحيح ابن ماجه للألباني (٣٣٦٣) ، وصحَّحه في صحيح الجامع (٧٤٢) ، والصَّحيحة (٤٠١) .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ، والشيرازي في الألقاب عن سَهْلٍ السَّاعديِّ ، وأبو نعيم في الحلية عن عليٍّ ، والبيهقيُّ في الشُّعب عن سهلٍ ، وعن جابر ، وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٧٣) ، والصَّحيحة (٨٣١) .

(٣) الموطأ (١٠٠١/٢) الحديث (١٥) ، وقال الشيخ الأرناؤوط في حاشية جامع الأصول (١٥٠/١٠) : «إسناده صحيح » .

(٤) **هامة** : رأس ، والجمعُ هَام .

(٥) **الثُّريَّا** : سبعةُ نجومٍ منضمَّة بعضُها إلى بَعْضٍ ، تُشبهُ العنقودَ .

(٦) أي رافضاً كارهاً .

(٧) أي لمعطي خير .

(٨) **المُحيَّا** : الوَجْه .

(٩) « البداية والنهاية » (٣٥/١٢) .

وقال عليُّ بن الجَهْم :

هِيَ النَّفسُ ، مَا حَمَّلْتَها تتَحَمَّلُ ... وَللدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الجَمِيلِ جَمِيلَةٌ ... وَأَفْضَلُ أَخْلاقِ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ
ولاَ عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الحُرِّ نِعْمَةٌ ... وَلَكِنَّ عاراً أن يَزُولَ التَّجَمُّلُ (١)(٢)

وقال الإمامُ الشَّافعيُّ :

صُنِ النَّفْسَ، واحْمِلْها على ما يزينُها ... تَعِشْ سالِمًا، والقَوْلُ فيكَ جميلُ
ولا تَوْلِيَنَّ النَّاسَ إلاَّ تجَمُّلاً ... نبَا بكَ دَهْرٌ (٣) أوْ جفَاكَ خليلُ (٤)
وإنْ ضاقَ رِزْقُ اليَومِ فاصبرْ إلى غدٍ ... عسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عنكَ تزولُ (٥)

إذًا لابدَ للخطيبِ أنْ يكونَ غنيَّ النَّفسِ، قانعًا بما آتاه اللهُ ، فعن عبد الله بن عَمْرٍو – رضي الله عنهما – قال : قال رسولُ اللهِ – ﷺ – : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، ورُزِق كَفافًا ، وقَنَّعهُ اللهُ بما آتَاهُ » (٦) .

وعن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قالَ : قالَ رسولُ اللهِ – ﷺ – : « لَيْسَ الغنى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ (٧) ، ولكن الغِنَى غِنَى النَّفْسِ » (٨) .

ولله درُّ الشاعر حين قال :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ في جَمْعِ مَالِهِ ... مَخَافَةَ فَقْرٍ ، فَالَّذِي فَعَلَ الفَقْرُ

---

(١) **التَّجمُّل** : التَّصبُّر .
(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٣٣٢) .
(٣) **نبا بك** : جفاك وأعرض عنك .
(٤) **خليل** : الصَّديق الخالص الناصح، جمعه أَخلاَّء، وخُلاَّن .
(٥) «ديوان الشَّافعيِّ» تحقيق البقاعيِّ (ص٩٨) .
(٦) رواه مسلمٌ في الزَّكاة (١٠٥٤) ، والتِّرمذيُّ في الزُّهْد (٢٣٤٨)، وابن ماجَهْ في الزُّهْد (٤١٣٨)، وأحمد في مسنده .
(٧) **العَرَضُ** : ما يُنتَفَعُ به من مَتَاعِ الدُّنيا .
(٨) رواه البخاريُّ في الرِّقاق (٦٤٤٦) ، ومسلمٌ في الزَّكاة (١٠٥١) ، والتِّرمذيُّ في الزُّهْد (٢٣٧٣) ، وابن ماجه في الزهد (٤١٣٧) ، وأحمد في مسنده (٢/٢٤٣ و ٢٦١ و ٣١٥) .

OBEIKAN.COM

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمه الله – : « فغنيُّ النَّفس الذي لا يستشرف – أي يتطلَّع – إلى المخلوق ، فإنَّ الحرَّ عبدٌ ما طَمِع ، والعبدَ حُرٌّ ما قَنِع .

وقد قيل : أطعتُ مطامعي ، فاستعبدَتْني . فكره أنْ يتبعَ نَفْسَهُ فتستشرف به؛ لئلاَّ يبقى في القلبِ فَقْرٌ وطَمَعٌ إلى المخلوقِ ؛ فإنَّه خِلافُ التَّوكُّلِ المأمورِ به، وخِلافُ غِنَى النَّفْسِ » (١) .

ولكي تتوافر في المسلم دواعي القناعة والعفَّة بشَرَفٍ وعِزَّة ؛ دعاه الإسلامُ إلى العملِ ، فعن الزُّبير بن العَوَّام – رضي الله عنه – عن النَّبيِّ – ﷺ – قال : « لأَنْ يأْخُذَ أَحدُكُمْ حبْلَهُ ، فيَأْتيَ بحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِه ، فيَبيعَهَا ، فيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ – خيرٌ له مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، أَعْطَوْهُ ، أَوْ منَعُوْهُ » (٢) (٣) .

وعن ثوبانَ – رضي الله عنه – قال : قال رسولُ الله – ﷺ – : « مَنْ تكَفَّلَ – أي ضَمِنَ – لي ألاَّ يَسْأَلَ النَّاسَ شيئًا ، وأَتكَفَّلُ لَهُ بالجنَّة ؟ » .

فقال ثوبانُ : « أنا » فكان لا يسألُ أحدًا شيئًا . (٤)

وإذا علَمنا ما كان عليه حالُ رسولِ الله – ﷺ – هانَ علينا أنْ نَقْنَعَ بما نحن فيه ، فقد وصفَ حَالَهُ النُّعمانُ بْنُ بشيرٍ بقوله : « لَقَدْ رأَيْتُ نبيَّكُم ، ومَا

---

(١) «الفتاوى» (١٨/٣٢٩) .

(٢) رواه البخاري في الزَّكاة (١٤٧١) ، وابن ماجَهْ في الزَّكاة (١٨٣٦) ، وأحمد في مسنده ، ورواه عن أبي هريرة مسلم (١٠٤٢) ، والترمذيُّ (٦٨٠) ، والنَّسائيُّ (٢٥٩٠) ، رووه في الزَّكاة ، ورواه مالك في موطَّئه (٢/٩٩٨ ، ٩٩٩) .

(٣) ذكر ابن حجر – رحمه الله – في «الفتح» (٣/٣٣٦) ، من فوائد الحديث : « الحضُّ على التَّعفُّف عن المسألة ، والتَّنزُّه عنها ، ولو امتهن المرء نَفْسَهُ في طلب الرِّزق ، وارتكب المشقَّة في ذلك » .

(٤) رواه أبو داود (١٦٤٣) ، والنَّسائيُّ (٢٥٩١) ، وابن ماجَهْ (١٨٣٧) ، وهو عندهم في الزَّكاة ، ورواه أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه . وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٦٦٠٣ ، ٦٦٠٤) .

OPENKAN.COM

يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ [١] ما يملأُ به بَطْنَهُ » [٢] .

وفي حديث أبي هريرةَ أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - كان يدعو : « اللَّهُمَّ اجعلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا [٣] » [٤] .

لكنْ هناك حالة ، وهي إذا جاءَكَ مالٌ من شَخْصٍ ، ولم تكنْ نَفْسُكَ مُشْرِفةً لهذا المال ، فحينئذٍ يجوز لك أَخْذُهُ ، فعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب - رضي الله عنه - قال : كانَ رسولُ الله - ﷺ - يُعطيني العطاءَ ، فأقول : « أَعْطِه مَنْ هو أَفْقَرُ إليه منِّي » . فقال : « خُذْهُ ، إذا جاءك منْ هذا المالِ شَيْءٌ - وأنت غيرُ مُشْرِفٍ ولا سائلٍ - فخُذْهُ ، ومَا لا فلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ » [٥] .

قال الحافظ ابْنُ حَجَرٍ - رحمه الله - : « والتحقيقُ في المسألة أَنَّ مَنْ علمَ كَوْنَ ماله حلالاً فلا تُرَدُّ عَطِيَّتُه ، ومن علم كون ماله حرامًا فَتَحْرُمُ عَطِيَّتُه، ومَنْ شَكَّ فيه فالاحتياطُ رَدُّهُ وهو الوَرَعُ ، ومَنْ أباحه أخذ بالأصل .

قال ابن المنذر : واحتجَّ مَنْ رَخَّصَ فيه بأنَّ اللهَ - تعالى - قال في اليهود: ﴿ سمَّاعُون للْكذب أكَّالُون للسُّحْت ﴾ [المائدة : ٤٢] .

وقَدْ رَهَنَ الشَّارِعُ دِرْعَهُ عند اليهوديِّ مع علْمه بذلك ، وكذلك أَخَذَ الجِزْيَةَ منهم مع العِلْمِ بأنَّ أكثرَ أموالِهِمْ من ثَمَنِ الخَمْرِ، والخِنْزِيرِ ، والمعاملاتِ الفاسدة » [٦] .

---

(١) **الدَّقَل** : رديء التَّمر .

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٧) ، والترمذيُّ (٢٣٧٢) ، وابن ماجَهْ (٤١٤٦) ، رَوَوْهُ في الزُّهد ، ورواه أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، والطَّبرانيُّ في الكبير .

(٣) **القوت** : ما يَسُدُّ الرَّمَق .

(٤) رواه البخاريُّ في الرِّقاق (٦٤٦٠) ، ومسلم في الزَّكاة ، وفي الزُّهد (١٠٥٥) ، والتِّرمذيُّ في الزُّهْد (٢٣٦١) ، وابن ماجه في الزُّهْد (٤١٣٩) .

(٥) رواه البخاريُّ (١٤٧٣) ، ومسلم (١٠٤٥) ، والنَّسائيُّ (٢٦٠٦) ، رَوَوْهُ في الزَّكاة .

(٦) « الفتح » (٣٩٦/٣) .

ومن هنا تعلم - أخي الخطيب - لماذا كان العلماءُ يُلقّنون طُلاّبَهم حفظَ قصيدة الجرجانيِّ عليِّ بن عبد العزيز [١] - رحمه الله - ، كما نجدها عند عددٍ من مُترجميه ، ومطْلَعها :

يَقُولُون لِيْ : فِيْكَ انْقِبَاضٌ ، وإنَّمَا ... رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُم [٢] ،هَانَ عِنْدَهُمْ ... ومَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا
وَمَا زِلْتُ مُنْحَازاً بِعِرْضِي جَانِبًا ... مِنَ الذَّمِّ ، أَعْتَدُّ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا
إِذَا قِيلَ: هَذَا مَشْرَبٌ قُلْتُ: قَدْ أَرَى ... وَلَكِنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاَحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي ... وَلاَ كُلُّ أَهْلِ الأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ، إِنْ كَانَ كُلَّمَا ... بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُلَّمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ العِلْمِ مُهْجَتِي [٣] ... لأَخْدُمَ مَنْ لاَقَيْتُ ، لَكِنْ لأُخْدَمَا
أَأَشْقَى بِهِ غَرْسًا ، وَأَجْنِي ذَلَّةً ؟! ... إِذَاً فَاتِّبَاعُ الجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ تَعَظَّمَا
وَلَكِنْ أَذَلُّوهُ جِهَارًا ، وَدَنَّسُوا ... مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا [٤]

---

(١) هو قاضي القضاة أبو الحسن عليُّ بن عبد العزيز الجرجانيُّ ، كان أريبًا أديبًا ، قال عنه الثعالبيُّ : «القاضي أبو الحسن حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خطّ ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحتري» . توفي سنة ٣٩٢ هـ .

(٢) **داناهم** : خضع لهم .

(٣) **المُهْجة** : النفس والرُّوح، جمعها مُهَجٌ .

(٤) « شرح ديوان المتنبي » للبرقوني (١١٧/١ - ١١٨) .

١٤- لزوم المروءة

المُرُوءَةُ: خَصْلَةٌ شريفةٌ ، وسَجِيَّةٌ جُبِلَتْ عليها النفوسُ الزَّكيَّةُ ؛ فعلى الخطيبِ أنْ يلزمَ المروءةَ ؛ فإنها تبعثُ على إجلالِ صاحبها ، وامتلاءِ الأعين بمهابته ، وهي راحة الضمير التي يجدها الرَّجُلُ عندما يبلغُ في المروءة غايةً ساميةً ، تُنْسيه كُلَّ مشقَّةٍ ، ولا يبقى معها للتَّعب باقيةٌ .

إنَّ المُرُوْءَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ ... وَرِثَ المُرُوْءَةَ عَنْ أَبٍ فَأَضَاعَهَا
أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بالدَّنَاءَةِ وَالخَنَا ... وَنَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ العُلا فَأَطَاعَهَا
فَإِذَا أَصَابَ مِنَ الأُمُورِ عَظِيمَةً ... يَبْنِي الكَرِيمُ بِهَا المُرُوْءَةَ بَاعَهَا [1]

ولقد عُرِّفَت المروءةُ بتعريفاتٍ عديدةٍ لا تكاد تُحصر ، وكلُّها قريبةٌ بعضها من بعضٍ ، فممَّا قيل في تعريفِ المروءة ما يأتي :

١- هي كمال الرجولة .

٢- هي صيانة النَّفس عن كُلِّ خُلُقٍ رديءٍ .

٣- وقال الأحنفُ بْنُ قَيْسٍ : المروءة : العِفَّةُ والحِرْفَةُ .

٤- وقال ميمونُ بْنُ ميمون : أوَّلُ المروءةِ طلاقةُ الوَجْهِ ، والثَّاني التَّودُّدُ ، والثالثُ قضاءُ الحوائجِ .

٥- وقال ابْنُ هبيرةَ : المروءة : إصلاحُ المالِ ، والرَّزانة في المجلس .

٦- وقيل : المروءة : هي المفاكهة ، والمباسمة .

٧- وقيل : المروءة : مُجانبةُ الرِّيبة ؛ فإنَّه لا يَنْبُلُ مُرِيبٌ، وإصلاحُ المالِ ؛ فإنَّه لا يَنْبُلُ فقيرٌ، وقيامُه بحوائج أهل بيته؛ فإنَّه لا يَنْبُلُ مَنِ احتاجَ أهلُ بيْتِه إلى غيره .

---

(١) «روضة العقلاء» (ص٢٢٩) .

٨- وقيل : المروءة : النظافةُ ، وطيبُ الرَّائحةِ .

٩- وقيل : المروءة : إنصافُ الرَّجُلِ مَنْ هو دُونَهُ ، والسُّمُوُّ إلى مَنْ هو فَوْقَهُ ، والجزاءُ بما أُتيَ إليه .

١٠- وقال براهام بن براهام : المروءة : اسمٌ جامعٌ للمحاسنِ كُلِّها .

١١- وقال الشربيني : أحسن ما قيل في تفسير المروءة : أنَّها تخلُّقُ المَرْءُ بأخلاقِ أمثالِه مِنْ أبناء عَصْرِه، ممَّنْ يُراعي مناهجَ الشَّرْعِ ، وآدابَهُ في زمانه ومكانه.

١٢- وقيل : هي ألَّا يأتيَ الإنسانُ ما يعتذرُ منه ، ممَّا يحطُّ مرتبتَه عند أهلِ الفَضْلِ .

١٣- وقال ابْنُ حِبَّانَ : « اختلفتْ ألفاظُهُم في كيفيَّةِ المروءةِ ، ومعاني ما قالوا قريبةٌ بعضُها من بعضٍ .

والمروءة عندي خَصْلتان : اجتنابُ ما يَكْرَهُ اللهُ والمسلمون من الفِعَالِ ، واستعمالُ ما يُحِبُّ اللهُ والمسلمونَ من الخِصَالِ »[1] .

ومنابع المروءة :

الكتاب ، والسُّنَّة ، وآثارُ السَّلَفِ ، وهناك آدابٌ ذكرها الأخُ محمَّد بن إبراهيم الحمد ، يزداد بها معنى المروءة وضوحًا ، وترتفع منزلة القائم بها درجات :

١- أنْ يكونَ المَرْءُ ذا أَنَاةٍ وتُؤَدَةٍ ، فلا يبدو في حركته اضطرابٌ أو عجلةٌ : كأنْ يُكْثرَ الالتفاتَ ، أو يعجلَ في مشيته عجلةً خارجةً عن حدِّ الاعتدال ، وأمَّا السُّرعةُ – بمعنى عدم التَّباطُؤ – فدليلُ الحَزْمِ ، ومن مقوِّماتِ المروءة.

٢- حُسْنُ البَيَانِ ، وجمالُ المَنْطِقِ ، والتَّرسُّلُ في الكلامِ .

---

(١) «روضة العقلاء» (ص٢٣٢) .

٣- حفظُ اللِّسانِ عن أعراضِ النَّاسِ ، وعن ساقطِ القولِ ومرذوله .

٤- مُلاقاةُ النَّاسِ بوَجْهٍ طَلْقٍ ، ولسانٍ رَطْبٍ دُونَ بَحْثٍ عَمَّا تُكِنُّهُ صدورُهُم ، وتنْطَوي عليه سرائرُهم .

كان الحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ يقول : « المروءةُ والشَّرَفُ في البِشْرِ [١] ، ولا يصلُحُ للصَّدرِ إلاَّ واسعُ الصَّدْرِ » .

٥- الإصْغَاءُ لِمَنْ يتحدَّثُ ، ولو كان حديثُهُ مُكرَّراً معلومًا .

٦- ألاَّ تطيشَ به الولايةُ في زَهْوٍ [٢] ، ولا ينزل به العَزْلُ في حَسْرةٍ .

٧- ضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ هَيَجَانِ الغَضَبِ ، أو دَهْشَةِ الفَرَحِ .

٨- الوقوفُ موقفَ الاعتدالِ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ . قال البعيث :

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ ، إذا الدَّهْرُ سَرَّنِي ... وَلا جازِعٍ مِنْ صَرْفِه [٣] المُتَقَلِّبِ

٩- إكرامُ الضَّيْفِ ، والتَّطلُّقُ له ، والقيامُ على خدْمَتِه ، وألاَّ يُكلِّفَ المَرْءُ زائريه بأيِّ عملٍ ولو قلَّ : كأنْ يَطْلُبَ مِنْ ضَيْفِهِ أَنْ يُنَاوِلَهُ كتابًا، أو كأْسًا ، أو نَحْوَ ذلك ، خصوصًا إذا كان الضيفُ غريبًا ، أو ليس ممَّن ترفعُ عنه الكلفةَ .

قال عمر بن عبد العزيز : « ليس مِنَ المروءةِ استخدامُ الضَّيفِ » .

١٠- ألاَّ يفعلَ المرءُ في السِّرِّ ما يَسْتَحِي منه في العَلانِيَةِ ، ممَّا يُخِلُّ بالمروءةِ ، ويُزْري بصاحبها .

١١- لزومُ الحياءِ

١٢- صِدْقُ اللَّهْجَةِ .

١٣- حِفْظُ الأسرارِ .

١٤- العَدْلُ والإنْصَافُ .

---

(١) **البِشْر** : الفرح والبَشَاشَة ، وطَلاقَة الوَجْه .

(٢) **الزَّهْو** : الكِبْر والفَخْر .

(٣) **صَرْف الدَّهْرِ** : نوائبُه ومصائبُه ، جمعه صُرُوف .

١٥- العفَّة عمَّا في أيدي الناس .
١٦- الغَيْرةُ على الدِّينِ والمحارمِ .
١٧- كِبرُ النَّفْسِ ، وعُلُوُّ الهِمَّةِ .
١٨- الوَفَاءُ للإخوانِ .
١٩- قَضَاءُ حوائجِ النَّاسِ .
٢٠- التَّودُّدُ إليهم .
٢١- لزومُ التَّواضعِ .
٢٢- تَحَمُّلُ ضيقِ العَيْشِ .
٢٣- تجنُّبُ إظهارِ الشَّكْوَى .
٢٤- تجنُّبُ المَنِّ [١] .
٢٥- الحذَرِ من إيذاءِ الآخرينَ .
٢٦- البرُّ والصِّلَةُ للوالدَيْنِ والأَرْحَامِ.
٢٧- مقابلةُ الإساءةِ بالإحسانِ .
٢٨- قَبُولُ المعاذيرِ .
٢٩- السَّخاءُ في كافَّةِ صورِه .
٣٠- صيانَةُ العِرْضِ .
٣١- السَّماحةُ بالبيعِ والشِّراءِ .
٣٢- الإتحافُ بالهدايا .
٣٣- الحِلْمُ وكَظْمُ الغَيْظِ .
٣٤- إنزالُ النَّاسِ مَنَازِلَهُم .
٣٥- نظافةُ البَدَنِ .
٣٦- طِيبُ الرَّائحةِ .
٣٧- العنايَةُ بالمَظْهَرِ .
٣٨- قَبُولُ النَّقْدِ الهادفِ .
٣٩- تَجَنُّبُ الفُضُولِ من الطَّعَامِ ، والكلامِ ، والمنامِ ، ومخالطةِ الأَنَامِ .
٤٠- مُرَاعَاةُ العادةِ والأَعْرافِ ، ما لم تُخَالف الشَّرْعَ .
٤١- مجالسةُ أَهْلِ المروءاتِ .
٤٢- استكثارُ القليلِ من معروفِ الآخرينَ .
٤٣- القيامُ بحُقُوقِ الجيرانِ .
٤٤- التَّقْوى؛ فهي جِماعُ المروءةِ ، وأَوَّلُها ، وآخِرُها ، وواسطةُ عقدِها .

---

(١) **المَنُّ** : تعديد الإحسان على المُنْفَقِ عليه ، وطلب مقابلته منه .

OBEIKAN.COM

الخاتمة

وأخيراً بعد هذا المشوار الممتع في رحاب الخطابة ، التي هي أصلٌ مهمٌ من أصولِ الدَّعْوَة إلى الله ، والدَّعوةُ إلى الله عَرْضٌ ، وكُلَّما كان العرضُ حسناً جذاباً ، أقبل عليه الناسُ من كُلِّ حَدَبٍ وصوبٍ ، ووجدوا فيه لَذَّةً وأريحةً وانشراحاً .

فموقع الخطابة موقع تذوُّقٍ ، وأسماعٍ ، وأفهامٍ ، وعُقُولٍ ، وبصائرَ.

وأوْلى الناس بهذا الموضوع زملائي طلبةُ العلْمِ ، وإخواني الدُّعاةُ في كُلِّ مكانٍ ، فهم مَدْعُوُّون إلى أخذِ زِمامِ الخطابةِ بَعْدَ أَنْ ظلَّ رَدَحًا [١] من الزَّمان بأيدي أهل الأهواء ، يُوجِّهون به العامَّةَ بأسلوبهم الجذَّاب ، ويُلَبِّسُونَ عليهم بسحْرِهم الذي يأخذُ بالألبابِ .

ومهما بذلت من جهدٍ من أجلِ أنْ يَخْرُجَ هذا الموضوعِ بالصُّورةِ التي تَفي بالغرضِ – فلا يزالُ هناك نَقْصٌ ، فعلى من رأى خطأً أو نَقْصاً أنْ يُرْشِدَني إلى الصوابِ مشكوراً.

وقديماً قال إبراهيمُ الصُّوليُّ : « المُتَصَفِّحُ للكتابِ أَبْصَرُ بمواقعِ الخَلَلِ فيه من مُنْشِئِه » [٢] .

وقال المَنَّاويُّ – رحمه الله – : « فيأيُّها الناظرُ ، اعمل فيه بشرط الواقف من استيفاء النظر بعين العناية ، وكمال الدِّراية [٣] ، لا يحملْكَ احتقارُ مؤلِّفه على التَّعسُّفِ ، ولا عن الحظِّ النفسانيِّ على أنْ يكونَ لك عن الحقِّ تخلُّف ،

---

(١) رَدَحًا – بفتحتين – : وقْتًا طويلاً .

(٢) انظر « الأعلام » للزركليِّ (٤/١) .

(٣) الدِّراية : المهارة في الفَهْم والاستنباط ، واستخراج أحكام المسائل .

فإنْ عَثَرْتَ منه على هَفْوةٍ أو هَفَوَاتٍ ، أو صَدَرَتْ فيه عنِّي كَبْوةٌ أو كبوات – فما أنا المتحاشي عن الخَلَلِ ، ولا بالمعصوم من الزَّلَل ، ولا هو بأوَّل قارورةٍ كُسِرَت ، ولا شُبْهةٍ مدفوعةٍ زُبِرَتْ ، ومَنْ تفرَّدَ في سُلوكِ السَّبيل ، لا يأمنْ من أنْ ينالَهُ أمرٌ وبيلٌ .

فرحم اللهُ امرأ قَهَرَ هَوَاهُ ، وأطاعَ الإنصافَ وقوَّاه ، ولم يعتمدْ العَنَتَ، ولا قَصَدَ مَنْ إذا رأى حسنًا ستره ، وعَيْبًا أظهره ونَشَرَهُ ، ولْيَتَأَمَّلْهُ بعين الإنصاف، لا بعينِ الحَسَد والانحراف ، فمن طلبَ عَيْبًا – وجدَّ – وَجَدَ ، ومَنْ افتقدَ زَلَلَ أَخيهِ بعين الرِّضى والإنصافِ فقدْ فَقَدَ ، والكمالُ مُحالٌ لغير ذي الجلالِ» [١] .

وفي الختام أسألُ اللهَ - تبارك وتعالى - بأسمائه الحُسْنَى وصفاته العُلَى أنْ ينفعَنَا بهذا الكتابِ ، وأنْ يجعلَهُ خالصًا لوجْهِهِ الكريم ، وأنْ يغفرَ لي ولوالديَّ يومَ الدِّين .

وآخرُ دعوانا أنِ الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين . واللهُ أعلمُ .

---

[١] « فيض القدير » (٣/١) .